العنوان:	أسس الجدل عند أبي الحسن الأشعري ت 33هـ / 942 م
المصدر:	مجلة الدراسات العربية (كلية دار العلوم - جامعة المنيا) - مصر
المؤلف الرئيسي:	عبدالعزيز، محمد سلامة
المجلد/العدد:	ع 7, مج2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2002
الشهر:	يونيو
الصفحات:	9 - 67
رقم MD:	193207
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	العقل، الفلسفة الاسلامية، الفلاسفة المسلمون، علم الكلام، الاشعري، الجدل، ابو الحسن الأشعري، ت 33هـ، الموقف الجدلي، السؤال الجدلي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/193207

أسس الجدل

عند أبي الحسن الأشعري

(ت. ٣٣ هـ/ ٩٤٢م)

دكتور
محمد سلامة عبد العزيز
كلية دار العلوم - جامعة المنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة :

نال التراث الكلامى لأبى الحسن الأشعرى حظـاً وافـراً مـن عنايـة الباحثين واهتمامهم مما أجلى منهجه فى هـذا الجـانب بصـورة تامـة[1] .

---

[1] يمكن لنا أن نقسم الدراسات التى تناولت الأشعرىّ وعالجت تراثه الكلامى إلى ثلاثة أقسام:

أ ــ دراسات خصصت نفسها للأشعرى ، أو أفردت جانباً كبيراً من موضوعها للحديث عنه ؛ ومن ضمن ذلك يمكن أن نشير إلى دراسة الدكتور حمودة غرابة : الأشعرى (أبـو الحسـن) ، مكتبة الخانجى بمصر ، ١٩٥٣م ، والجزء الذى أفرده الدكتور جلال عبـد الحميـد موسـى للحديث عن الأشعرى وحياته ، ومؤلفاته ، ومنهجه ، وذلك فى الدراسـة المتميـزة : نشـأة الأشعرية وتطورها ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٨٢م ، الباب الثانى بصفة خاصة مـن ص١٦٣:٣١٣ . ومن بين الدراسات الأجنبية فى هذا القسم يمكن الإشارة إلى

Michel Allard : Le problème des attributs divins dans La doctrine d'Al-Ash'arî et de ses premiers Grands disciples, Beyrouth, 1965 ,

وأيضاً :

Daniel Gimaret : La doctrine d'Al – Ash'arî, éd. Le Cerf, Paris, 1990 .

وغير ذلك ..

ب ــ دراسات تناولت حياة الأشعرى وفكره بالتحليل ، وقدمـت بذلـك لتحقيـق تراثـه الكلامى، ويمكننا أن نشير فى هذا المجال إلى التصدير الذى قدمت به الدكتورة فوقيـة حسـين محمود لتحقيق كتاب الإبانة عن أصول الديانة للأشعرى ، جزآن ، دار الأنصار ، القـاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م ، ص٥ : ١٩٢ ، والتقديم الذى صدر به الدكتور حمودة غرابة لتحقيق كتاب اللُّمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع للأشعرى ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ،١٩٩٣ ، ص٣ :١٦ ، وتقديم الدكتور محمد السيد الجليند لتحقيق رسالة "أصول أهل السنة والجماعة للأشعرى " والمسماة " برسالة أهل الثغر" سلسلة التراث الفلسـفى ، القسـم الأول : نوادر المخطوطات ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص٣ : ٢٧ . =

وقد اعتمدت الدراسات التى قامت حول الأشعرى على المطبوع من تراثه مما هو متداول بين أيدينا، وهذا التراث ، كما أشار عدد من الباحثين[1] ، يتحدد فى " مقالات الإسلاميين " ، و" كتاب اللمع فى

= جـ دراسات التى اهتمت بعرض تاريخ الفلسفة وعلم الكلام الإسلاميين ؛ وتعرضت فى غضون ذلك لفكر الأشعرى بصورة موجزة ، والنتاج فى هذا الجانب متعدد ويمكن الإشارة من بينه إلى ما يلى : د . محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م ، الفصل العاشر بصفة خاصة ، ص١٩٥ : ٢١٦ ، د . محمد خليل هراس : دعوة التوحيد (أصولها ـ الأدوار التى مرت بها ـ مشاهير دعاتها) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، ص٣٣٠، ٣٣١ ، د . فيصل بدير عون : علم الكلام ومدارسه ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م ، الفصل الثامن بصفة خاصة ، والذى خصصه المؤلف للحديث عن مذهب الأشعرى ص٢٦٣ : ٢٩٥ ، د . مصطفى حلمى : قواعد المنهج السلفى فى الفكر الإسلامى ، دار الدعوة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م ، ص١٥٠ : ١٥٧ ، وغير ذلك كثير .

ومن بين الدراسات الأجنبية يمكن الإشارة إلى :

Alain de Libéra : La Philosophie médiéval , Presses universitaires de France , Paris , 1993 , P. 96 , 97 .

[1] انظر بصفة خاصة : د . عبد الرحمن بدوى : مذاهب الإسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م ، ص٥١٥ ، د . جلال عبد الحميد موسى : نشأة الأشعرية وتطورها ، ص١٩٥ ، سعيد نفيسى : مقال علم الكلام فى الإسلام موضوعه وسوابقه والكتب المصنفة فيه ، مجلة الفكر العربى ، معهد الإنماء العربى ، بيروت ، العدد الواحد والأربعون ، السنة السابعة ، مارس ، ١٩٨٦م ، ص٩٢ .

وانظر كذلك :

Daniel Gimaret : Art . Un Document majeur por l'histoire du Kalâm : Le Mugarrad maqalât Al-Ash'arî d'Ibn Fûrak, in Arabica, (Revue=

الرد على أهل الزيغ والبدع " ، و " كتاب الإبانة عـــن أصـــول الديانـــة " ، و"رسالة فى استحسان الخـــوض فى علـــم الكـــلام " ، و" رســـالة إلى أهـــل الثغر"، وهى التى حققها الدكتـــور محمـــد السـيد الجلينـــد تحـــت عنـــوان "رسالة فى أصول أهل السنة والجماعة"[1] . وقـــد لعبـــت تلـــك الدراســـات دوراً مهماً فى تجلية مذهب الأشعرى حـــول المســـائل الـــتى عـــرض لهـــا فى مصنفاته المشار إليها ؛ فحددت وجهتـــه فى مســـائل الـــذات والصفـــات ، والإيمان والقضاء والقدر والإمامة ، بصورة يمكن القول معـــها بـــأن تـــراث الأشعرى ، فيما يتعلق بهذه القضايا، لم يعد بحاجـــة إلى دراســـات جديـــدة يمكن أن تضيف فيه. غير أن ظهور تلك النشرة لكتـــاب "مجـــرد مقـــالات الأشعرى" لابن فورك (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م) ، والـــذى قـــام بتحقيقـــه ونشـــره بالعربيـــة المستشـــرق الفرنســـى دانيـــال جيماريـــه "Daniel Gimaret"[2] ، يجعل من محاولة إلقاء نظـــرة جديـــدة إلى بعـــض القضايـــا

=d'études arabes) , Tome XXXII, Fascicule 2 , Juillet , 1985 , éd. J.Brill, Leden, P. 185 .

غير أن الدكتور فوقية حسين محمود أفردت جانباً كبيراً من مقدمتها لتحقيق " كتاب الإبانـــة" أشارت فيها إلى وجود مؤلفات أخرى مخطوطة وأجزاء أخرى من كتب منشورة للأشـــعرى ، مثل مقدمة كتاب التفسير التى احتفظ بها ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى ، وغير ذلـــك . انظر تلك المقدمة ص٨٠ : ٩٢ .

[1] سلسلة التراث الفلسفى ، القسم الأول : نوادر المخطوطات ، مطبعة التقدم ، القـــاهرة ، ١٩٨٧م .

[2] بحوث ودراسات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة القديس يوسف ببيروت ، بإدارة لويـــس بوزيه ، سلسلة (أ) اللغة العربية والفكر الإسلامى رقم (١٤) ، ط . دار المشرق، بيروت، ١٩٨٧م . وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه يحمل أقوالاً للأشعرى جاءت فى كتبه التى لم تصـــل إلينـــا، وآراء أخرى لم يدونها فى مصادره، ونقلها عنه بعض تلاميذه إلى أن أملاها ابن فورك فى هذا الكتاب.يـــأتى=

الكلامية عند الأشعرى أمراً من الأهمية بمكان . فهذا الكتاب يحتوى على أقوال للأشعرى فى عدة مسائل لم ترد فى كتبه المتداولة بين أيدينا؛ ومن ذلك آرائه فى معنى العلم وحده ، و مدارك العلوم ، و دلائل العقول ، ومعنى العقل والنظر والخاطر ، وفى معنى الجدل وآدابه وأحكامه مما هو موضوع دراستنا فى هذه الورقة البحثية ، الأمر الذى يعنى أن معالجة تلك المسائل أمر قد يسهم فى كشف النقاب عن زوايا جديدة فى المنهج الكلامى لأبى الحسن الأشعرى .

ومن هنا كانت هذه الدراسة التى تتعرض بالتحليل لأسس الجدل عند الأشعرى . وقد كان الأخير ـ شأنه شأن علماء الكلام فى عصره ـ على اهتمام كبير بتحديد معنى الجدل وآدابه وعلاقته بغيره من المفاهيم الأخرى كالنظر والمعارضة وغيرها . ويبدو أن الأشعرى قد اهتم بتقنين المفاهيم النظرية لتلك المسألة وتطبيقها عملياً فيما صنفه من مؤلفات ذات طبيعة جدلية . فقد صنف الأشعرى، بحسب ما يشير هو

=هذا بنص المؤلف الذى يقول عن الآراء التى يوردها للأشعرى "وأن أجمع لكم منها متفرقها فى كتبه ما يوجد منها منصوصًا له ، وما لا يوجد منصوصًا له .. " انظر مقدمة الكتاب ص٩ . وهذا فى الواقع لون من التدوين اشتهر فى مختلف مجالات الفكر الإسلامى . وقد اثبت المحقق صحة نسبة ذلك الكتاب إلى ابن فورك ، وأثبت كذلك الرجوع الكثير فيه إلى مؤلفات الأشعرى، وكذلك المطابقة التامة بين آراء الأشعرى الواردة فى هذا الكتاب وبين الآراء الواردة فى "اللمع" ، وبين تلك التى ينقلها أبو منصور البغدادى والجوينى عن الأشعرى أيضاً ، كما أشار المحقق إلى المخطوطات التى اعتمد عليها فى نشره لذلك المصدر . انظر مقدمة المحقق ص١ : ٥ ، وقد أشار المحقق نفسه إلى أهمية هذا المصدر أيضًا، و التى تتمثل فى أنه يحمل أقوالاً جديدة للأشعرى فى مختلف موضوعات علم الكلام ، انظر :

Art . Un Document majeur pour l'histoire du Kalâm, Le Mugarad maqalât Al-Ash'arî d'Ibn Fûrak, P.217 .

نفســـه، كتابـــاً فى "أدب الجـــدل" ، وكتابـــاً فى "النظـــر والاســـــتدلال وشرائطه"[1]. ويبدو أنه كان يهتم بتصحيح المفاهيم حـــول تلـــك المســـألة ؛ "فقد أشار إلى أنه ألف كتاباً نقض به علـــى البلخـــى، وكتابـــاً ذكـــر أنـــه أصلح به غلط ابن الراوندى فى الجدل[2]" ومن جهـــة أخـــرى فقـــد خلّـــف الأشعرى مصنفات أخرى اهتم فيها بتطبيق ما حـــدده مـــن مفـــاهيم حـــول الجدل، فقد ذكر أنه صنف كتاباً سماه "الفصـــول فى الـــرد علـــى الملحديـــن والخارجين عن الملة"[3] . وكتـــــاب " الشـــرح والتفصيـــل فى الـــرد علـــى الإفك والتضليل"[4] ، وغيرها . وإذا كانت هـــــذه المصـــادر قـــد فُقـــدت فإن ما بقي بين أيدينا من تـــــراث الأشـــعرى؛ " كالإبانـــة " ، و"اللمـــع "، يشهد بالتزامه يشهد بتطبيق واضح للأسس والآداب الـــتى حددهـــا للجـــدل ، كما سيتضح لنا من خلال هذه الدراســـــة .

---

[1] ابن عساكر : تبيين كذب المفترى فيما نُسب إلى الأشعرى ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعـــة الثانية ، ١٣٩٩هـــ ص١٣٤ ، وتشير د . فوقية حسين محمود إلى أن الأب مكارثى يـــرى أن كتاب الأشعرى " فى النقض على البلخى " هو الأسبق وأن كتاب " شرح أدب الجدل " يرتبط به ، بينما ترى هى العكس و أن كتاب "أدب الجدل" هو الأصل ، أى أنه هو المصنف الـــذى بسط فيه الأشعرى أصوله فى الجدل وبين قواعده وآدابه ، وأن الكتاب الأول "فى النقض علـــى البلخى" ما هو إلا تطبيق للأصول الواردة فى "أدب الجدل" حيث يشرح فيه الأشعرى أدب هذه المسألة . انظر مقدمة تحقيق كتاب الإبانة للأشعرى ص٥١ : ٥٣ . وأيًّا كان الأمر فإن ذلـــك يعكس اهتمام الأشعرى بتقنين مفاهيم الجدل وأسسه.

[2] ابن عساكر : تبيين كذب المفترى فيما نُسب إلى الأشعرى ص ١٢٨ .

[3] ابن عساكر : تبيين كذب المفترى ، ص١٢٨ .

[4] السابق ص١٣٠ ، وانظر عرض ابن عساكر لمصنفات الأشعرى فى ص١٢٨ : ١٤٠ ، حيث توجد الإشارة إلى العديد من المصنفات ذات الطابع الجدلى .

١ ــ أهمية هذه الدراســـة

وترجع أهمية معالجة هذا الموضوع إلى الجوانب التالية :

أولاً : إبراز وجهة نظر الأشعرى حول طبيعـــة الجـــدل والموقـــف الجـــدلى ، مما يسهم فى الوقوف على أحد المصادر الأولى فى بناء أســـس هـــذه المســـألة عند مدرسة كلامية رئيسة ، وهى المدرســـة الأشـــعرية هـــذا مـــن جهـــة ، ومن جهة أخرى فإن ذلك يكشف لنا النقـــاب عـــن موقـــف الأشـــعرى فى مسألة مهمة فى محيط علم الكلام ؛ لأن الجـــدل يرتبـــط بالغايـــة الأساســـية التى نشأ من أجلها ذلك العلم ، وهى الدفـــاع عـــن العقيـــدة الإســـلامية فى وجه الطـــاعنين .

ثانياً : أن فى الوقوف على أسس الجـــدل عنـــد الأشـــعرى مـــا يســـهم فى تجلية مذهبه الكلامى بصفة عامة، و تفســـير بعضـــاً مـــن مواقفـــه فى هـــذا الجانب، من حيث إن طبيعة عرض المسائل عنـــد المتكلمـــين كـــانت تـــأخذ فى الحسبان ما يتسلح به الخصوم، والوســـائل الأبلـــغ فى إقناعـــهم، وتفنيـــد آرائهم ، أى إنها كانت تلـــتزم ــ فى الأعـــم الأغلـــب ــ خطـــاً جدليـــاً . ومن هنا فإن دراسة هذا الموضوع قد تفسر لنـــا اختـــلاف الاتجـــاه الجـــدلى عند الأشعرى فى مجابهته للخارجين عن الملة من جهة عـــن نظـــيره عنـــد رده على الفرق الكلامية من جهة أخـــرى .

ثالثاً : أن هذا الموضوع ــ على أهميتـــه ــ لم يحـــظ بدراســـة مســـتقلة، أو مبحث خاص يـــهتم بعـــرض الأســـس النظريـــة للموقـــف الجـــدلى عنـــد الأشعرى، والـــتى طبقـــها عمليـــاً فى مصـــادره الأخـــرى " كالإبانـــة " ، و"اللمع" . يقول البـــاحث ذلـــك اســـتناداً إلى مراجعـــة الدراســـات الـــتى

تعرضت لمنهج الأشعرى الكلامى، والتى أشرنا إلى بعض منها فى موضع سابق من هذه الدراسة .

٢ــ منهج الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة منهجاً تحليلياً اهتمت فيه باستقراء آراء الأشعرى حول الجدل[1] من أجل الكشف عن مذهبه فى هذا الجانب . وقد اقتضى الأمر العودة إلى آراء أخرى لهذا الإمام فى عدة مسائل ترتبط بالجدل، كذلك مراجعة مناظراته مع الخصوم كما جاءت فيما هو متوفر تحت أيدينا من مصادره التى غلب عليها هذا النهج مثل "الإبانة" ، و"اللُّمع"، وذلك من أجل تبيُّن مدى تطبيق الأشعرى لما طرحه من مفاهيم نظرية حول الجدل فى تلك المصادر .

و لم يشأ الباحث أن يتعرض لمعانى الجدل فى القرآن الكريم ، فهناك العديد من الدراسات التى تناولت هذا الموضوع ، وأوضحته تماما بما يكفى الباحث مؤنة ذلك[2] . على أن المفاهيم القرآنية للجدل

---

[1] كان المصدر الأساسى الذى اعتمدت عليه الدراسة فى هذا الجانب هو أقوال الأشعرى عن الجدل التى أوردها ابن فورك فى كتابه "مجرد مقالات الأشعرى"، وخاصة الفصل الذى خُصص لذلك، والذى عنون له المؤلف كالتالى "فصل آخر فى إبانة مذاهبه (أى الأشعرى) فى باب الجدل وأحكامه وآدابه وما يتعلق بذلك من فروعه ، ويُبتنى عليه من الزوائد والأمثلة فيه .. " . انظر: المصدر المشار إليه ص٢٩٢ وما بعدها.

[2] من بين تلك الدراسات المتميزة انظر على سبيل المثال : الإمام محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، دون تاريخ،ص٥٩ : ٧٥ ، د . على عبد الفتاح المغربى حقيقة الخلاف بين المتكلمين ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م ص١٠٧ : ١٢٤ ، د . إبراهيم عبد الرحمن عتلم : الجدل فى منطق القرآن ، حولية كلية=

كانت هى الشاهد الذى حرصت هـــذه الدراســـة أن تقيـــس مـــن خلالــه أصالة آراء الأشعرى فى الجدل، وذلك تبعاً لمدى قربها مـــن النـــص الديـــنى .

ومن جهة أخرى حاولت الدراسة أن تـــبرز مفـــاهيم الجـــدل عنـــد الأشعرى فى علاقتها بما جاء لدى أصحـــاب المذاهـــب الكلاميـــة الأخـــرى التى عرفتها البيئة الإسلامية إبَّان عصر الأشعرى، لأنه مـــن الثـــابت أن هـــذا المفكر قد تجادل طويلاً مع علماء الكلام آنـــذاك ، خاصـــة أهـــل الاعـــتزال منهم .

وقد حاولت الدراسة أن تبين أسس الجدل عنـــد الأشـــعرى مـــن خـــلال معالجتها للموضوعات التاليـــة:

معنى الجدل وعلاقته بالنظر، ثم آداب الموقـــف الجـــدلى ، و الـــذى تعـــرض الباحث فيه لزاويتين رئيسيتين هما : طبيعـــة الموقـــف الجـــدلى ، و الســـمات التى يجب أن يتحلى بهـــا طرفـــا الموقـــف الجـــدلى ، الســـائل و المجيـــب، ثم عرضت الدراسة بعد ذلك لمفـــهوم الســـؤال الجـــدلى وأقســـامه، وأقســـام الجواب ، ثم تنـــاولت مفـــهوم المعارضـــة، و علاقتـــها بالســـؤال الجـــدلى، وأخيراً كانت الخاتمة التى احتوت على أبرز نتـــائج البحـــث.

=أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية ، العدد الحـــادى عشـــر ١٤١١هـــ ـــ ١٩٩١ ، ص٢٣: ٢٥٦ ، عبد الكريم غلاب : صراع المذهب والعقيدة فى القرآن ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م ص٢١٣ : ٢٢١ ، د . عبد الراضى محمد عبـــد المحســـن : الإسلام والمسيحية من الجدل إلى الحوار ، بحث منشور بكتاب المؤتمر الـــدولى الأول للفلســـفة الإسلامية "الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة" والذى عُقد بكلية دار العلـــوم ـــ جامعـــة القاهرة فى الفترة من ٢٠ ـــ ٢٢ إبريل ١٩٩٦م ص١٦١ : ١٨٢ .

أولاً : معنى الجدل وعلاقته بالنظر :

يأتي تعريف الجدل عند الأشعرى مرتبطاً أشد الارتباط بما حدده من مفهوم لمعنى "النظر"[1] ، ولعل ذلك يعود فى الواقع إلى أنهما يقومان على استخدام العقل بصورة واسعة . فعند الأشعرى "أن معنى النظر المقرون بذكر القلب هو الفكرة والتأمل ، وذلك نحو أن يفكر فيما يشاهد ليرد إليه حكم ما لم يشاهد فيعلم مماثلته لحكمه من مخالفته"[2] . ومعنى ذلك أن هذا اللون من النظر يعتمد على العقل للربط بين الحقائق المختلفة والاستدلال عليها . وينحو الأشعرى منحى لغوياً[3] . يوضح فيه أن "معنى الجدل مأخوذ من جدلت الحبل إذا فتلته وأحكمت فتله ، ومنه يقال "درع مجدولة ، ومنه يقال للحبل الجديل ، وذلك بمعنى مجدول كما يقال قتيل بمعنى مقتول وخضيب بمعنى مخضوب"[4]. أمّا

---

[1] المقصود بالنظر هنا هو النظر فى معرفة الله تعالى، وفى أصول الدين، " وهو واجب إجماعاً عند أكثر المتكلمين " التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون، الجزء الثالث ص ١٣٩١. وقد عرَّف بعض الباحثين النظر بصفة عامة " بأنه الفكر الذى تُطلب به المعرفة لذاتها ، لا الفكر الذى يُطلب به العمل أو الفعل ... وأن النظر كالفكر : فعل صادر عن النفس لاستحصال المعلومات ". جميل صليبا : المعجم الفلسفى ، دار الكتاب اللبنانى ؛ مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢، الجزء الثانى ص ٤٧٢، ٤٧٣. وللوقوف على اختلاف علماء الكلام حول مدى إفادة النظر للعلم وشروط ذلك انظر : كشاف اصطلاحات الفنون، الجزء الثالث ص ١٣٨٩، ١٣٩١.

[2] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٢٨٥ .

[3] يشير ابن فورك إلى أن الأشعرى كان يعتمد على اللغة فى تفسير بعض الكلمات ؛ كتفسيره لمعنى كلمة "العلم" مثلاً . انظر مجرد مقالات الأشعرى ص٢٨٤ .

[4] مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٤ .

وجه الصلة بين هذا المعنى الاصطلاحى وبين معنى النظر فيمدنا به ابن فورك عندما يذهب إلى القول بأنه "على هذا التأويل كان المناظر إذا جادل فإنما غرضه إحكام طريقته ولَىُّ صاحبه عمَّا يقوله وفلُّه عنه إلى غيره . وإذا كان من جَدَلْتُه ، إذا ضربته على الجدالة وهى الأرض فتأويل المجادلة كتأويل المصارعة ، لأن المناظر لصاحبه كالمصارع له المغالب يروم أن يغلبه فى كلامه ، ويرفعه عن طريقته"[1] .

ومن هنا يتضح لنا أن جوهر الصلة بين الجدل والنظر يكمن فى أن كليهما يعد مسلكًا للوصول إلى الحقيقة "فالجدل بما أنه "نظر" و "النظر" موصل إلى الحقيقة ولكن على أسلوب التدافع الذى لا يزيد الوصول إلى الحقيقة إلا قوةً ووضوحاً .."[2] . وقد تنبه الأشعرى إلى هذا الأمر فأشار إلى أن "الجدل والنظر يتفقان فى أن المجادل مناظر ومفكر ومستعمل لما يؤدى إليه فكره"[3] .

على أن هذا الربط بين الجدل والنظر يوافق ، فى الواقع ، زاوية مهمة فى منهج الأشعرى حول مسألة الجدل ؛ فمن ضمن آداب ذلك عنده "عدم الاهتمام بالمباهاة والاستفزاز والحرص على الانتصار ، وإنما

---

(1) مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٤ .

(2) د . فوقية حسين محمود : مقدمة تحقيق كتاب الكافية فى الجدل للجوينى" ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ص٢٨ .

(3) مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٤ .

يجب أن يراعى فى الجدل اعتماده على روح التقوى والعبادة .."[1] ، وكل تلك سمات يقوم عليها النظر لدى علماء الكلام .

ويجعل الأشعرى "للجدل" مرتبة الوجوب فى الحكم تماماً مثل "النظر" ، وذلك فى حال ما إذا كان الأمر يتعلق بالدفاع عن المعتقد الصحيح؛ "فأما النظر إذا كان بمعنى الجدل فقد يكون واجباً وفى حال ندباً وتطوعاً . وذلك عند استرشاد مسترشد وطعن طاعن لتنبيه غافل، وتبيين طاعن خلاف ما يتوهمه فينكشف له الحق بدلائله، ويتضح له وجهه بأماراته اللائحة"[2] . ولمّا كان الجدل وسيلة من وسائل النظر فإنه يأخذ حكمه هنا فى الوجوب على كل العلماء المتسلحين لخدمة العقيدة، وإن كان هو ندباً وتطوعاً على الآخرين . نستخلص ذلك من قول الأشعرى هنا لأنه يشير فى موضع آخر إلى أن النظر فى الأصول من فروض الأعيان، وأن النظر فى الفروع من فروض الكفايات ، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين"[3] .

وأيًّا كان الأمر فإن عدة عوامل مجتمعة لعله كان لها الأثر البالغ فى إعطاء الأشعرى للجدل مرتبة الوجوب. فمن جهة كان الأشعرى قد انفك عن المعتزلة، وقد كان يرى أن الكثير من أقوالهم تحتوى على عدة ضلالات ، ومن جهة أخرى "كانت البيئة الإسلامية ـ آنذاك ـ تحفل

---

[1] Daniel Gimaret : Art. Un Document majeur pour l'histoire du Kalâm : Le Mugarrad maqalât Al-Ash'arî d'Ibn Fûrak, in Arabica , Tome XXXII, Fascicule 2 , P.216 .

[2] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٣ .

[3] مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٣ .

بطوائف كثيرة دخلت فى الإسلام من أصحاب الديانات القديمة، وبعضهم نزعوا إلى تقريب الإسلام مما ألفوه ، وتفسيره بما عرفوه ، وكذلك مجاورة المسلمين لكثير من أهل الديانات القديمة ، وسريان كثير من أفكار أولئك إلى المسلمين خصوصاً من لم يكن ثابت العقيدة، قوى الإيمان ، ثم محاولة أعداء الإسلام إفساد الأمر بين المسلمين بما نشروه بينهم من أهواء مردية ، وأفكار باطلة"[1] .

ومن هنا جعل الأشعرى الجدل والنظر صنوان فى هذا الحكم؛ فكما أن النظر فرض عين لأنه يتعلق بالأصول، ومنها معرفة الله تعالى عز وجل، والاستدلال على وجوده ، فكذلك الجدل واجب لأنه يدافع عما يحاك حول هذه العقيدة الأصيلة من جانب الطاعنين ، الذين قد ينكر بعضهم النظر كوسيلة للمعارف الاعتقادية [2].

ولعل ذلك هو الذى دفع الأشعرى إلى الجمع بين الحجاج ــ أحد وسائل الجدل ــ وبين النظر فى مقام واحد فى المسألة الرابعة من "كتاب اللمع"[3] ؛ فبعد أن يعرض لسؤال الخصم : ما الدليل على جواز إعادة الخلق، ويجيب بأن الدليل عليه أن الله سبحانه خلقه أولاً لا على مثال سبق ، فإذا خلقه أولاً لم يعييه أن يخلقه خلقاً آخر، يستشهد بعد بقوله تعالى : ﴿ أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادرٍ على

---

(1) محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص٧٨ ، ٧٩

(2) أشار التهانوى إلى أن هناك قوم من الملاحدة أنكروا النظر كوسيلة للمعارف الاعتقادية. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، الجزء الثالث ص ١٣٩٥.

(3) صححه وقد له وعلق عليه : د . حمودة غرابة ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص٢٢ ــ ٢٤ .

بقوله تعالى : ﴿ أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم﴾ [1] ، وأن هذا هو المعول عليه فى الحجاج فى جواز إعادة الخلق"[2] ، يشير إلى أن هذا هو الدليل أيضاً على صحة الحجاج والنظر؛ لأن الله تعالى حكم فى الشئ بحكم مثله وجعل النظير ومجراه مجرى نظيره"[3] .

يتبين لنا هنا أن الأشعرى فى ربطه بين الجدل والنظر ينطلق منطلقاً دينياً فالحجاج عن المسلمات العقدية يقتضى النظر فى أمور الدين لاستخلاص الأدلة على الطاعنين "فقد تبين الأشعرى أن الدفاع عن العقيدة يقتضى بعض أساليب ذهنية تعتمد فى أساسها على معانى دينية ؛ أى معانى مستقاة من النص المنزل، وتعرض مع حجاج عقلى يؤكد أبعادها. دون أن يكون فى ذلك خروج عن الدين ، لأن المنطلق فى ذلك هو النص المنزل"[4] .

وقد عاد إمام الحرمين الجوينى (ت ٤٧٨هـ) واستلهم من شيخه الأشعرى نفس هذا النهج فى الربط بين الجدل والنظر . فنجده فى كتابه "الكافية فى الجدل"[5] ، والذى خصصه لهذه المسألة ، يعمد إلى عقد

---

[1] سورة ياسين . الآية (٢٨) .

[2] كتاب اللمع ص٢٢ ، ٢٣ .

[3] كتاب اللمع ص٢٣ .

[4] د . فوقية حسين محمود : مقدمة تحقيق كتاب الإبانة للأشعرى ص١٣٠ ، ١٣١ .

[5] حقق هذا الكتاب وقدمه وعلق عليه: د . فوقية حسين محمود ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٩ ــ ١٩٧٩م .

مباحث يفسر فيها تلك المعانى مجتمعه ؛ يقول فى ذلك : "فأمَّا القول فى بيان حدود ما يحتاج إليه النظر فى الفروع من العبادات .. ، فأول ذلك بيان الحد النظر والجدل والمناظرة"[1] . وإن كان الجوينى أكثر تفصيلاً من الأشعرى باعتبار أنه خصص مصنفه لبحث مسألة الجدل برمتها .

على أية حال فإنه إذا كان الاستدلال عند الأشعرى يعنى النظر والفكرة من المفكر والمتأمل[2] ، فإن هذا الأصل يدخل فى معنى الجدل أيضاً .فالاستدلال عند الأشعرى له وجهان : "أحدهما انتزاع الدلالة والثانى المطالبة بالدلالة . فأما إذا كان انتزاعاً للدلالة واستنباطاً لها فإنه قد يصح من واحد، ويكون ذلك حال المفكر والناظر . وأمَّا إذا كان الاستدلال بمعنى المطالبة بالدلالة فإنه يكون مقتضياً لإثنين : مُطالِب بالدلالة ، ومُطالَب بها"[3] . والاستدلال بالمعنى الأول يدخل فى باب النظر ، أما بالمعنى الثانى فهو أحد أساليب الجدل وصوره. وهذا الربط الذى يصل إلى حد المطابقة بين معانى الجدل والنظر والاستدلال يدفعنا

---

[1] الكافية فى الجدل ص١٦ ، على أن المتأمل فى تعريف الجوينى للنظر يلمس تشابهاً كبيراً بينه وبين ما ورد من تعريف لهذا الأصل عند الأشعرى . فعند هذا الأخير "إن معنى النظر المقرون بذكر القلب هو الفكرة والتأمل ، وذلك نحو أن يفكر فيما يشاهد ليرد إليه حكم ما لم يشاهد، فيعلم مماثلته لحكمه من مخالفته" مجرد مقالات الأشعرى ص٢٨٥ ، وقد عاد الجوينى وردد نفس تلك المعانى تقريباً عندما عرف النظر بأنه هو التأمل ، أو التفكر ، أو التدبر ، أو الاعتبار أو الاستدلال ، وإنه فكر القلب وتأمله فى حال المنظور ، ليعرف حكمه جمعاً أو فرقاً أو تقسيماً . الكافية فى الجدل ص١٧ .

[2] مجرد مقالات الأشعرى ص٢٨٦ .

[3] مجرد مقالات الأشعرى ص٢٨٦ .

إلى القول بأن بحث الأشعرى لتلك القضايا كـــان يـدور فى إطـار النـص الدينى أيضاً، "فصحيح أن الأشـعرى لم يتخـل عـن طريقـة الاسـتدلال المنطقى . غير أن العقلانيـة لا تقـوم علـى الطريقـة الشـكلية وحدهـا للاستدلال المنطقى ، بل على المنطلقات العقلية التى تنطلـق منـها مقدمـات الاستدلال . وهذه المنطلقات كلها عنـد الأشـاعرة تنحصـر فى مضـامين النصوص الدينية ولا شئ غيرهـا"[(١)] .

من خلال ما سبق يتضح لنا أن معنى الجدل عنـد الأشـعرى يتفـق مع المعنى الذى ارتضاه الباحثون المحدثون لتلك المسـألة، والـذى يعـنى أن الجدل لون من المحاورة بين خصمـين كـل منـهما يبغـى نصـرة مذهبـه بالأدلة والبراهين[(٢)] ، وهو جدل علـى المعـنى الحميـد الـذى يبعـد عـن المكابرة، "والتى لا يكـون الغـرض منـها إلـزام الخصـم ، ولا الوصـول للحق، بل اجتياز المجلس ، والشهرة أو مطلـق اللجاجـة ، أو غـير ذلـك من الأغراض التى لا تضنى فى الحق فتيـلا [(٣)]" ، ومـن هنـا فـإن الجـدل يتصل بمعنى النظر الذى هو اعتبار وتفكر بهدف الوصـول إلى الحقيقـة .

[(١)] حسين مروة : النزعات المادية فى الفلسفة العربية الإسلامية ، دار الفارابى ، بيروت ، الطبعة السادسة ، الجزء الأول ص٨٦٥ .

[(٢)] محمد أبو زهرة : تاريخ [illegible]ل ص٥ ، ومعنى ذلك أن مفهوم الجدل عند الأشعرى يرتبـط بحقيقة مفهوم تلك المسألة عند علماء المسلمين "فالجدل عندهم يعنى فى مجـال الاصطـلاح : مدافعة بين متناظرين لترجيح مذهب على مذهب، وهو ينبع من واقع حياة المسلمين الفكريـة ويترتب على مزاولتهم لعلومهم التى قامت أول ما قامت حول مصدرىّ الديـن : "الكتـاب والسنة " . د . فوقية حسين محمود : مقدمة تحقيق كتاب الإبانة للأشعرى ص٦٢ .

[(٣)] محمد أبو زهر : تاريخ الجدل ص ٥

ثانياً : أسس الجدل عند الأشعرى :

بعد أن اتضح لنا من خلال ما سبق مفهوم الجدل بصفة عامة عند الأشعرى ومدى ارتباطه بمفهوم النظر ، حرى بنا أن ندلف الآن إلى بيان الأسس التى حددها الأشعرى لهذه المسألة

١- آداب الموقف الجدلى :

تعرض الأشعرى لآداب الموقف الجدلى من وجهين رئيسين أولهما: طبيعة هذا الموقف بصفة عامة وما يختص بذلك من توضيح للفرق بين الجدل المحمود ، والجدل المذموم، وثانيهما: السمات التى ينبغى أن يتحلى بها طرفا هذا الموقف (المتخاصمان) ـــ سواء أكان أحدهما فى موقف السائل أو المجيب ـــ بالصورة التى تجعل من نقاشهما يأتى فى صورة حميدة تهدف إلى الوصول إلى الحقيقة . وسوف نتعرض لهذين الوجهين بالتفصيل كل على حدة .

أ ـــ طبيعة الموقف الجدلى :

من الثابت أن الجدل دائماً ينشأ بسبب الخلاف ، أو طلب الاستفسار عن شئ ؛ وهذا هو المعنى الذى يستكنهه الأشعرى عندما يحدد لنا الظروف العامة التى يمكن أن ينشأ فيها أى موقف جدلى ، والتى ترجع حسب رأيه إلى أن "الجدل يكون عند استرشاد مسترشد، وطعن طاعن لتنبيه غافل ، وتبيين طاعن خلاف ما يتوهمه فينكشف الحق بدلائله ويتضح له وجهه بأماراته اللائحة"[1] . وهذا يعنى أن

---

[1] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٣ .

الموقف الجدلى ــ الذى يكون غالباً بين اثنين ــ قد ينشــأ عــن التبــاس فى الفهم على أحد المعتقدين ، أو للدفــاع عــن الديــن فى وجــه الطــاعنين .

ومما ينبغى الإشارة إليه هنا هو تنبه الأشعرى إلى ذلــك التفريــق الدقيــق فى الموقف الجدلى بين استفسار المعتقدين ، وبــين طعــن الطــاعنين . فحــول **الجانب الأول** يرى الأشعرى "أنه إذا التبس أمر من أمــور الديــن فى أصلــه أو فرعه فاسترشد من التبس عليه وجــب إرشــاده وتنبيهــه وتذكــيره"[1].

ونلمس من جانب الأشعرى هنا اتجاهاً إســلامياً أصيــلاً يتمثــل فى اتخــاذ الموقف الجدلى كلون من ألوان توضيح حقائق الدين بصــورة مــن الإرشــاد والتنبيه والتذكير . أى أن هذا المنحى لا يُحتاج فيــه إلى إقامــة الحجــج أو البراهين لأنه لا يقوم على مساجلات مع الخصــوم بــالمعنى المفــهوم لهــذه الكلمة . والأشعرى نفسه كان يشير دائماً فى بدايــة مصنفاتــه إلى حرصــه على تصحيح مفاهيم الدين؛ و ذلك ما نجــده فى " كتــاب اللمــع " ، وفى " رسالته لأهل الثغر " [2] ، كما كان الأشــعرى ، فى كــل المســائل الــتى عالجها فى علم الكلام ، يقدم مذهبه موافقاً لأوائل المســلمين مــن صحابــة وتابعين ، تابعاً لرأيهم، غير مبتدع فى شئ : فقضيته الرئيســية الــتى يســتهل

---

[1] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٣ .

[2] فى كتاب اللمع يستهل الأشعرى مصنفه ، بعد الحمدلة والشهادة ، بالقول : "أما بعــد ؛ فإنك قد سألتنى أن أصنف لك كتاباً مختصراً أبين فيه جملاً توضح الحق ، وتدمغ الباطل ، فرأيت إسعافك بذلك، رزقك الله الخيرات، وأعانك على الخير والمطلوبــات " اللمــع ص١٨ ، وفى رسالته لأهل الثغر (المسماة برسالة أهل السنة والجماعة) يعمد الأشعرى إلى نفس هذا النــهج . انظر تلك الرسالة بتحقيق : د . محمد السيد الجليند ص٣٠ ــ ٣٣ .

بها معظم نظرياته : هذا ما قال بـــه الأئمـــة وأجمـــع عليـــه المســـلمون"[١] .

ومعنى ذلك أن منهج الأشعرى يؤكد أن "الجـــدل أســـلوب عـــام لتحصيـــل المعارف، ولصقل مختلف المستويات . فهو دائماً يؤدى الغـــرض منـــه، وهـــو التوضيح والبيان من أجل التصحيـــح"[٢] .

أما الجانب الثانى من جوانـــب الموقـــف الجـــدلى عنـــد الأشـــعرى، والذى يتمثل فى الذب عن الدين فى وجه الطـــاعنين، فإنـــه ينشـــأ ــ كمـــا يقول الأشعرى ــ إذا توهم متوهم فيما هو حـــق أنـــه بـــاطل ، وتصـــوره بخلاف صورته ، فأخذ يذب عنه ويطعن على الحـــق ، فـــالواجب فى الأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يُدفع عن ذلك ويبـــين لـــه وجـــه خطئـــه ، ليرجع عنه ويتبصَّر"[٣] . وهذا الصنـــف مـــن المواقـــف الجدليـــة يكـــون ــ كما هو واضح ــ مع أولئك اللذين يخوضون فى أصـــول الديـــن بـــالبحث، وينتهون إلى آراء باطلة[٤] . وتبيين وجه الصواب بالنســـبة لهـــؤلاء يقتضـــى

---

[١] د . أحمد محمود صبحى : فى علم الكلام (٢ ــ الأشاعرة) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـــ ــ ١٩٨٥م ص٨٧ . ولعله من المفيد هنا إيراد ما أشار إليه ابـــن عساكر فى هذا المعنى "من أن أبا الحسن الأشعرى ، عند ظهور البدع ووقوع الفتن، علّم النـــاس معانى دينهم، وأوضح الحجج لتقوية يقينهم، وأمرهم بالمعروف فيما يجب اعتقاده من تنزيهـــه تعالى عن مشابهة مخلوقاته، وبيّن لهم ما يجوز إطلاقه عليه عز وجل من أسمائه الحسنى وصفاتـــه، ونهاهم عن المنكر من تشبيه صفات المحدثين وذواتهم بأوصافه أو ذاته" . تبيين كذب المفـــترى فيما نُسب إلى الأشعرى ص١٢٧ .

[٢] د . فوقية حسين محمود : مقدمة تحقيق كتاب الكافية فى الجدل للجوينى ص٧٢ .

[٣] مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٣ .

[٤] من الواضح أن الخصم الذى يشير إليه الأشعرى هنا هو الفرق الكلامية ذات الآراء الضالـــة على وجه العموم، والمعتزلة على وجه الخصوص؛ حيث انفك الأشعرى عن المعتزلة وجادلهم فى=

مناقشة أفكارهم ثم حشد الأدلـــة فى الـــرد عليـــهم ؛ فـــالغرض مـــن هـــذا الموقف الجدلى يكون دفاعياً ، فى المقام الأول ، للذب عـــن أصـــول الديـــن.

ولعل ذلك يقتضينا الإشارة إلى نقطة مهمة تنبـــه إليـــها الأشـــعرى ، تتعلق بهذا الموقف الجدلى ، وهى مســـألة التفرقـــة بـــين الجـــدل المحمـــود ، والجدل المذموم . وفى هذا الموضـــع يستلهم الأشـــعرى المنـــهج القـــرآنى بصورة واضحة . فبعد أن يشير إلى أن الجدل يكون للـــرد علـــى استرشـــاد

=أباطيلهم ـــ حسب رأيه ـــ بصورة شديد الأوار، وقد صدر **الأشعرى** فى ذلك عن منهج زاوج فيه بين العقل والنقل، مختاراً وفقه السلف فى كثير من المسائل ، وليس الأمر كما يرى المستشـــرق الفرنسى Alain de Libéra من أن الأشعرى بعد تحوله عن المعتزلة اتخذ موقف الوسط بـــين العقلية المفرطة عند المعتزلة، وبين التمسك بحرفية النص كما هو مذهب أحمد بن حنبل: . انظر:

La Philisophie médiévale, Presses universitaires de France, Paris, 1993 , P . 97 .

وإنما الثابت أن الأشعرى حذا حذو ابن حنبل فى كثير من المسائل كما تشهد بذلك مقدمة "كتـاب الإبانة" التى يثنى فيها الأشعرى على ابن حنبل بقوله : "**أبو عبد الله بن حنبل نضّر الله وجهه** ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته . . . . الإمام الفاضل والرئيس الكامل ، **الذى أبان الله به الحق** ، ودفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمـــه الله عليه من إمام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مُفهم" . انظر الإبانة . فصل (١) ص٢٠ ، كما أن "ابن حنبل نفسه يمارس مواجهات فكرية مع الزنادقة والجهمية تقوم على معانى ذهنية دينية تحددت لديه بإعطاء مكان الصدارة للنص المترل . وهذا ما كان من المقتدين بالسلف بعد ذلك فى مواقفهم الكلامية من أمثال الأشعرى وغيره .. " . انظر د . **فوقية حسين محمود**: مقدمة تحقيق كتاب الإبانة للأشعرى ص١٠٥ ، ١٠٦ ، وانظر للإمام أحمد بن حنبل :**رسالة الرد على الزنادقة والجهميـــة** ، منشورة ضمن عقائد السلف للأئمة(أحمد بن حنبل والبخارى ، وابن قتيبة ، وعثمان الدارمـــى ، جمعها وحققها د . على سامى النشار ، عمار جمعى الطالبى.، مكتبة الآثـــار السـلفية ، منشـأة المعارف، الاسكندرية بمصر ١٩٧١م ، ص٥١ : ١٠٣ .

مسترشد، والدفاع عن طعن طاعن[1] ، يوضح لنا هـــذا الإمـــام خصـــائص هذا الموقف بقوله : "ذلك هو ما أدب الله تعـــالى بـــه نبيـــه وحـــث ســـائر الخلق على الاقتداء به فقال : ﴿ادع إلى ســـبيل ربـــك بالحكمـــة والموعظـــة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[2] ، وقال تعـــالى فى آيـــة أخـــرى ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هـــي أحســـن﴾[3] . فأبـــان أن المجادلـــة هـــى الحسنى وهى الطريقة المثلى ، وأن ما كـــان بخلافـــها فمذمـــوم"[4] . ومـــن هنا ينتقل الأشعرى لبيان هذا اللون الآخر مـــن الجـــدل "فيستشـــهد بقولـــه تعالى : "ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هـــم قـــوم خصمـــون"[5] ، أيضـــا أن معنى قوله تعالى : "وإذا رأيت اللذين يخوضـــون فى آياتنـــا فـــأعرض عنـــهم حتى يخوضوا فى حديث غيره"[6] ، هو فيمـــن أُونـــس مـــن رشـــده وظـــهر عناده وتبين زيغه وانقطع عذره وقامت الحجـــج عليـــه"[7] .

يتبين لنا من ذلك أن الجدل المحمود هو ما يكـــون بالوجـــه الحســـن من أجل إيصال حقيقة جديدة، أو الدفاع عن عقيدة إيمانيـــة "فمـــن احتـــاج

---

[1] انظر : مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٣ .

[2] سورة النحل . الآية (١٢٥) .

[3] سورة العنكبوت . الآية (٤٦) .

[4] مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٣ .

[5] سورة الزخرف . الآية (٥٨) .

[6] سورة الأنعام . الآية (٦٨) .

[7] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٣ .

إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب"[1].

وأن الجدل المذموم هو ذلك الذى يكون عديم الفائدة ، ساقط القيمة لمكابرة الخصم وعناده . ولذلك فكأن الأشعرى يرى أن الموقف الجدلى لا ينبغى أن يتدافع طالما أقيمت الحجج والبراهين على الخصم وظهر فساد دعواه . وبذلك فإن الأشعرى ، فضلاً عن تمسكه بالمفهوم الإسلامى للجدل ، فإنه، بهذا التمييز، قد أبعد عن الموقف الجدلى بعضاً من الآفات والعيوب التى اعترته فى العصور التالية لعصرهذا الإمام ، حينما تحولت المواقف الجدلية إلى أساليب " توزع فيها المسؤليات بين المعترض والمستدل من أجل التوصل إلى نصرة مذهب على مذهب ، أو رأى على رأى ، لا من أجل كشف حقيقة جديدة أو اتفاق الطرفين على حقيقة قديمة "[2] .

لقد اتضح لنا من خلال ما سبق السمات العامة التى ينبغى أن يكون عليها الموقف الجدلى عند الأشعرى ؛ والتى أكدت صدق نظرته فى أن الجدل يجب أن يدور فى إطار محمود كما حث الدين على ذلك ، الأمر الذى يحقق الفائدة من تلك المسألة .

بعد ذلك يمكن لنا أن ننتقل إلى توضيح وجهة نظر الأشعرى فى السمات التى ينبغى أن يتحلى بها طرفا الموقف الجدلى وهما السائل والمجيب .

---

[1] ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الثانى ص٥٩١ .

[2] د . حسن الشافعى : المدخل إلى دراسة علم الكلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ، ص١٩٠ .

ب- طرفا الموقف الجـــدلى :

من الثابت أن الأشعرى يرى أن الموقف الجــــدلى لا يصــح إلا مــن شخصين اثنين[1] ، وهو بذلك يقف على أهـــم أســس المســألة الجدليـــة فى صورهما الحميدة ؛ إذ أن الجدل إذا كان بــين عــدة أطــراف كــان جــدلاً عقيماً .

وقد تنبه الأشعرى ــ فى الواقــع ــ إلى النــص علــى الآداب الــتى ينبغى أن يتحلى بها السائل والمجيب من حيث إنهما طرفـــا الموقــف الجــدلى، ويمكن لنا أن نورد تلك الآداب كما يلـــى :

أولاً : التزام الخصمين بالخلق القويم فى أثناء الموقف الجـــدلى: فــهناك عــدة سمات أخلاقية يجب أن يكون عليها هــذان الطرفــان ؛ مــن ذلــك أنهمــا يجب أن يلتزما بالصبر واحترام كل منـــهما للآخــر وحديثــه. وهــذا مــا يتضح من إشارة الأشعرى إلى أن "السائل إذا سأل خصمــــه عــن مســألة ، فزعم ــ أى المجيب ــ فى جوابها أنهــا تحتمــل وجوهًــا، ورام أن يبينــها لم يكن له أن يمنعه من ذلك ، ولا كان للمجيب أن يقول لــــه : ســل ســؤالاً لا يحتمل إلا وجهاً واحــــدًا"[2]. فى هــذا المقــام حــث الأشــعرى كــلا الخصمين على حسن الإصغاء، و إبــداء وروح الأمانــة العلميــة ؛ " فعلــى السائل أن يتحلى بحسن الاستماع، وعدم مقاطعـــة المجيــب ، وأن يقــر لــه إذا أتى بالمطلوب "وإذا أخذ المجيب يبين وجوه السؤال كــان علــى الســائل استماع ذلك كله ، فإن وجد فى بعض الوجوه التى يأتى بها مـــا قصــد لــه

---

[1] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٤ .

[2] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠٦ .

وأراده كان عليه أن يقول له ، هـــذا الوجـــه أردتـــه وقصدتـــه ، فـــاقصده بالجواب "[1] . والأشعرى بهذا اللفتـــة ، فضـــلاً عـــن أنـــه يلـــتزم المنـــهج الإسلامى الأصيل فى الجدل "حيـــث دعـــا الإســـلام فى هـــذا الجـــانب إلى تجنب الحيل كسبيل للانتصار على الخصـــم ، وعـــدم اســـتحقار المجـــال ، و الإقبال على المناظر والإصغاء التـــام إليـــه والاستبشـــار فى وجهـــه وعـــدم العبوس .."[2]، أقول فضلاً عن ذلك ، فإن الأشعرى ألـــزم نفســـه باتبـــاع نفس هذه السمات فى مناظراته التى ضمنـــها كتبـــه المختلفـــة . وليـــس أدل على ذلك من أنه أفرد جزءًا كاملاً من كتابـــه "مقـــالات الإســـلاميين"[3] ، حكى فيه مقالات خصومه بكل أمانة علميـــة، "وهـــذه الأمانـــة فى الجـــدل عند الأشعرى أشار إليها فى الواقع كل من تعرض لدراســـة هـــذا الإمـــام"[4]

---

[1] مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠٦ .

[2] د . عبد الراضى محمد عبد المحسن : الإسلام والمسيحية من الجدل إلى الحوار ، بحث منشـور بكتاب المؤتمر الدولى للفلسفة الإسلامية "الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة" ، كليـــة دار العلوم ـــ جامعة القاهرة ـــ ٢٠ ـــ ٢٢ إبريل ١٩٩٦م ، ص١٦١ .

[3] انظر ذلك المصدر بتصحيح هلموت ريتر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، الطبعـــة الرابعة ، ١٤٢١ هـــ ـــ ٢٠٠٠م .

[4] د . حمودة غرابة : الأشعرى (أبو الحسن) ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، ص٦٤ ، والدكتور غرابة يقصد بالذات هنا بعضاً من المستشرقين ممن تعرضوا لدراسة= =الأشعرى. ومما ينبغى الإشارة إليه هنا أن أمانة بعض علماء الكلام ـــ خاصة ذوى الاتجاه السنى منـــهم ـــ فى مجادلاتهم مع الفرق الخارجة عن الملة لفتت أنظار عدد من المستشرقين بدرجة اعتبروا معـــها أن إيراد علماء الكلام لآراء تلك الفرق يُعد شاهداً يحمل أقوالها ، مثلما نجد هـــذا الاتجـــاه عنـــد المتشرق الفرنسى (G.Vajda) والذى اتخذ من إيراد أبو منصور الماتريدى لآراء كـــل مـــن =

ثانياً : أن يكون السائل واضحاً فى طرحه لمسألته، وألا يعمد إلى التعمية والإيهام ، بحيث يأتى كلامه جليًا دونما لبسٍ أو غموض. وقد شدد الأشعرى على ذلك بقوله : "ولا يجوز ــ أى على السائل ــ أن يحمل الكلام مالا يحتمله . فوجه احتمال الكلام أن يمكن إفراده باللفظ إذا وضع عليه ، كقولك "لون" فإنه يحتمل السواد والبياض .. ولا يُعلم ذلك إلا بالقصد إلى أحدهما . فإن وقع فى سؤال السائل هذا التحصيل فيجب عليه أن يبين أن كلامه لم يُرد به كذا وإنما أراد كذا وكذا"[١] . والأشعرى بذلك يريد أن ينأى بالموقف الجدلى من أن يصبح مجالاً لإثبات البراعة اللفظية أو المقدرة اللغوية ، إذ يجب أن تكون المعانى واضحة فيه تماماً . وقد عُرف عن الأشعرى أنه كان فى مجادلاته يحرص على إيضاح المقصود لكل ما يستدل به تماما . فالمطالع لكتاب "الإبانة" يجد أن الأشعرى يستهل الباب الأول ، والذى يخصصه للكلام فى إثبات رؤية الله تعالى سبحانه بالأبصار يوم القيامة ، يستهل ذلك بإيراد قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة﴾[٢] ، ثم يشير إلى أن النظر قد يعنى به فى الآية : نظر الاعتبار ، أو نظر الانتظار ، أو نظر التعطف ، أو نظر الرؤية ، ثم بعد تحليل ذلك ينتهى إلى صحة القسم

=المانوية، والديصانية والمارونية شاهداً يحمل أقوالها ويوضح مذهبها . انظر ذلك فى مقال ذلك المؤلف :

Le Témoignag d'al-Maturidî sur La doctrine des Manichéen, des Daysanites et des Marcionites, in Arabica, Tome XIII , Fascicule I , éd . E.J. Brill , Editeurs , Leiden , Février , 1966 , P. 1 : 38 .

[١] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠٢ .

[٢] سورة القيامة. الآيتان (٢٢، ٢٣)

الرابع وهو أن معنى قوله تعالى : ﴿إلى ربها ناظرة﴾ يعنى أنهـــا رائيـــة ، تـــرى ربها عز وجل[١] . فالأشعرى إذاً يعتد فى الموقـــف الجـــدلى بمســـألة إيضـــاح المقصود تماماً من السؤال ، حتى لـــو احتـــاج الســـائل إلى الاســـتطراد إلى تفسيرات لغوية تتصل بما يورده. وقـــد كـــان الأشـــعرى نفســـه يـــهتم فى مجادلاته بالنواحى اللغوية أيضا "لدرجة أن الأفكـــار الـــتى تختـــص بـــالقواعد النحوية وتلك، التى يعلنها حـــول تركيـــب اللغـــة كـــانت متصلـــة عنـــد الأشعرى بتصور الحقيقـــة"[٢] .

ثالثاً : أن يراعى كل من السائل والمجيب كـــلام الآخـــر ؛ بمعـــنى أن يكـــون طرفا الموقف الجدلى شاحذى الهمـــــم ، قويـــا الملاحظـــة، يتســـم كلاهمـــا بالتركيز العقلى ؛ وفى هذا يـــرى الأشـــعرى : إنـــه يجـــب علـــى الســـائل والمجيب مراعاة كل واحد منهما كـــلام صاحبـــه ، حـــتى إن غـــير العبـــارة وكرر المعنى ضبط ذلك عليه وحصله ، وقال لـــه : هـــذا هـــو مـــا أوردتـــه فكررته"[٣] . ومثل هذا الصنيع يعنى أن طرفى الموقـــف الجـــدلى لا ينبغـــى أن تفلت منهما شاردة ، إذ أن فى ذلك مـــا يعـــنى أن كـــل منـــهما يســـتطيع الحفاظ على قدره، ولا يمكّن خصمه مـــن الازدراء بـــه ، وهـــذا فى الواقـــع مما جعله الأشعرى فى طليعة ما يجب على السائل والمجيـــب أن يتنبـــها لـــه ؛

---

[١] انظر الإبانة ص٣٥ : ٣٧ .

[٢] Jeam – Claude Vadet : Le Primat de L'action sur L'Être et L'Essence fil Conducteur de La Logique d'Al-Ash'arî , in Stvdia Islamica , Tome XLIV, éd. G . P. Maisonneuve – Larose , Paris , P. 49

[٣] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ، ص٣٠٢ ، ٣٠٣ .

يقول فى ذلك : "وأول ما يجب على السائل والمجيب حفظ ما يرد عليهما من سؤال وجواب ، لأن المجيب إذا حمل سؤال السائل مالا يحتمله وتغافل عنه السائل استخفه ، وازدرى به ، فالواجب على السائل التيقظ لجواب المجيب لما فيه من الحراسة ورد المجيب عما رام من الازدراء به"[1] .

ومثل هذا الأسلوب الذى يعنى أن يتنبه السائل إلى المجيب فى كل ما يقوله حتى يظفر بمطلوبه ، ويقنع الخصم بحجته ، والذى تسلح به العديد من علماء الكلام فى جدالهم مع الطاعنين فى الدين[2] ، أقول إن مثل هذا الأسلوب يرتد إلى شاهد إسلامى أصيل "فمن ضمن ما اتخذه القرآن الكريم من طرقٍ فى مجادلة الخصوم : مجاراة الخصم فيما يقول ثم

---

[1] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠٢ .

[2] ولعل هذه السمة بالذات؛ والتى تعنى أن المجادل ينبغى أن يكون يقظاً، كانت سمة تسلح بها العديد من علماء الكلام الآخرين فى مواقفهم الجدلية ضد أصحاب الملل الأخرى، ولعله من الإنصاف أن يشير الباحث إلى أن المعتزلة بالذات قد اتصفوا بذلك فى جدلهم مع المخالفين "فقد أعطى أبو الهذيل العلاف فى جدله مع اليهود صورة رائعة من اللباقة وحدة الذهن ، والبصر بأساليب المناقشة ، والقدرة الفائقة على التربص بخصمه والسيطرة على الموقف حتى لا يفلت زمامه من يده" . د . عبد الفتاح الفاوى : مقال المنهج الجدلى عند المعتزلة ، ضمن كتاب : المقالات العشر فى منهج علم الكلام وقضاياه ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ص٦٤ . وقد استخدم أبو الهذيل هذا المنحى فى جداله مع المسيحيين أيضا ، انظر الإشارة إلى مجادلاته مع عمار البصرى النصرانى (القرن العاشر الميلادى) فى :

Josef Van Ess : Une Lecture à rebours de L'histoire du mutazilisme , Revue des études islamiques , Extrait des tomes XLVI/2-1978 , XVII/1-1979 , éd . Librairie Orientaliste Paul Geuthner , Paris , 1984 , P.66 : 70 .

التعقيب عليه بما يُبطل مدعاه ، و من ذلك قوله تعالى حاكياً عن الرسل مع أقوامهم "قالت لهم رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض ، يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ، قالوا : إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين . قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ، ولكن الله يمن على من يشاء من عبادة ، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون"[1] . [2] . ويعلق الإمام محمد أبو زهرة على معانى هذه الآيات بقوله : "فترى من ذلك أن الرسل سلّموا بالمقدمة التى بنى عليها الأقوام رفضهم ، ولكنهم نقضوا النتيجة بقولهم "ولكن الله يمن على من يشاء من عباده" فكأنهم قالوا ما قلتموه من أننا بشر حق ، ولكن ما تريدون أن تبنوه عليه من إثبات أننا لسنا برسل باطل ، لأن الله يمن على من يشاء من عباده ، فلا مانع من أن يمن علينا بالرسالة"[3].

من المفترض إذن أن يكون الأشعرى ــ فى حثه للسائل على التيقظ ــ قد استلهم مثل هذه الإشارات التى تتعدد فى القرآن الكريم لأنه كان الأصل الدينى الذى نشأ حوله علم الكلام بصفة عامة، واستمد منه المتكلمون أصول الجدل الحميد بصفة خاصة هذا من جهة،

---

[1] سورة إبراهيم. الآيتان (١٠، ١١)

[2] محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل ص٧٢ ، ٧٣ .

[3] السابق نفسه ص٧٣ .

ومن جهة أخرى فإن الأشعرى، كما يقول عن نفسه، " قد عارض مسائل الكلام بما وجد فى القرآن والأخبار، فأثبته ونبذ ما سواه .." [1].

رابعاً : مراعاة أن يوضح المجيب رده بصورة وافية. ذلك أن الهدف من الموقف الجدلى هو دفع الإيهام وإجلاء المسألة المتنازع حولها تماماً؛ الأمر الذى يتعين معه ألا ينتهى تدافع ذلك الموقف دون أن يتمم الطرفان هذا الأمر ، وهى مسألة يحكمها فى الواقع مدى اقتناع السائل وقبوله للجواب "وكذلك لا يقتصر السائل من المجيب على قوله "قد مضى الجواب عن سؤالك حتى يقرره ويوضحه لأن ذلك مما يقع فى الإيهام"[2] . ولقد عُرِف عن الأشعرى أنه كان يهتم بإجلاء المسائل التى يتناولها فى مواقفه الجدلي بصفة عامة ، كما كانت خاصية تميز بها منهجه عن منهج بعض أسلافه من المعتزلة[3] .

---

[1] كان القرآن الكريم ـــ كما يشير إلى ذلك د . أبو الوفا التفتازانى ـــ إلى جانب احتوائه على ذكر العقائد الإسلامية ، قد احتوى على ذكر العقائد المخالفة لها ، وعلى الحجج الداحضة لها ، وأن ذلك كان من العوامل الهامة التى انهضت بعض عقول المسلمين إلى البحث فى العقائد وكيفية الدفاع عنها ضد العقائد المخالفة لها . انظر : علم الكلام وبعض مشكلاته ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دون تاريخ ص٧ .

[2] ابن عساكر : تبيين كذب المفترى ص٣٩ .

[3] أشار بعض الباحثين إلى أن مناظرات الأشعرى مع شيخه الجبائى فى أواخر عهده بالاتجاه الاعتزالى ، كانت مما زعزع الثقة فى مذهب المعتزلة عنده ، وجعلت نفسه تزور [illegible] . فكثيراً ما كان يورد الأسئلة ويطرحها على شيخه ـــ والمقصود الجبّائى هنا ـــ فلا يجد جواباً شافياً عنها، مما سبب له حيرة شديدة . انظر : د . عبد الفتاح الفاوى : مقال منهج الوسطية عند الأشعرى ضمن كتاب : المقالات العشر فى منهج علم الكلام وقضاياه ، مرجع سابق ، ص٨٨ .

وإذا ما نحن استعرضنا الباب الأول من كتاب "اللمع"، على سبيل المثال، والذى خصصه الأشعرى للحديث عن "الله وصفاته" نجد أن ذلك الإمام كان وفياً لتلك السمة التى حددها للموقف الجدلى هنا؛ فهو لا يترك عارض يمكن أن يجيش بخاطر الخصم إلا ويورد الرد عليه . فنراه يستهل ذلك الباب بذكر الدليل على وجود صانع الخلق ، ويستمد ذلك من خلق الإنسان وتقلبه فى أطواره المختلفة، ثم ينتقل من ذلك إلى إثبات أن الخالق تعالى لا يشبه المخلوقات ، داحضاً بذلك زعم من يدعى أنه تعالى يشاكل المخلوقات أو أنه على صورها. وبذلك تسنى للأشعرى أن يبرهن فى يسر وسهولة على أن صانع الأشياء واحد. وطالما أن الأشعرى يتحدث عن الصلة بين الخالق والمخلوق فإنه يثبت بعد ذلك جواز إعادة الخلق، وأن الدليل على ذلك أن الله عز وجل خلقه أولاً ، وأنه لن يعيه أن يخلقه خلقاً آخر . وفى هذا الإطار ينتقل الأشعرى إلى نفى الجسمية عن تعالى ، ثم يثبت له تعالى الصفات الأخرى؛ كالعلم والسمع والبصر والقدرة وغيرها[1] . وهو يمضى فى ذلك على نهج يحرص فيه على تجلية جوانب المسألة تحليلاً، حتى يثبت العقيدة بصورة تامة .

خامساً : ولم يفت الأشعرى أن ينبه على مسألة فى غاية الأهمية يجب أن يفطن إليها كل من السائل والمجيب فى الموقف الجدلى . ويتمثل ذلك فى إشارته إلى أن هذا الموقف ينبغى أن يكون متواصلاً ولا ينقطع ، أى يكون على معنى المدافعة التى تهدف إلى الوصول إلى الحق ؛ بمعنى ألا

---

[1] انظر ذلك الباب فى المصدر المشار إليه ص١٨ : ٣٢ .

يعترى موضوع الجدل أى لون من ألـوان الاسـتطراد الـذى قـد يشـتت الذهن، ويذهب بالتركيز ؛ "فالانتقال المذمـوم هـو أن ينتقـل (أى أحـد طرفى الموقف الجدلى) عما ابتدأ به إلى ما لا يليـق بـه ، وإلى مـا لا يتعلـق تصحيحه بتصحيحه ، وسواء كان ذلـك فى المذهـب أو فى الدلالـة فإنـه يكون انتقالاً مذموماً وانقطاعاً ممـن يسـتعمله"[(1)] . ومـن أجـل توضيـح هذه الوجهة أكد الأشعرى على أن مثل هذا الانتقـال المذمـوم قـد يعنـى عجز فى الفهم لدى طرفى الموقـف الجـدلى[(2)] . ولذلـك اهتـم الأشـعرى بتحديد الانتقال غير المذموم والذى قد يشرع فيه لإيضـاح مـا يُمكـن أن يُبهَم على السائل أو المجيب، فيحول بينهما وبـين الفـهم الصحـح . وقـد أوضح الأشعرى ذلك بقوله "وقـد ينتقـل السـائل والمجيـب مثـل هـذا الانتقال فلا يكون مذموماً لأنه يرجع عمّا يشـكل علـى السـائل أو علـى المجيب بنقصان فهمـهما إلى الـذى يتضـح ويتجلـى ويسـهل وقوفـهما عليه..."[(3)] . وللدلالة على ذلك استلهم الأشـعرى مـا جـاء فى القـرآن الكريم من قصة إبراهيم عليه السلام مـع النمـرود " مشـيراً إلى أن انتقـال إبراهيم مع نمرود من ذكر الإحياء إلى ذكر الإتيان بالشـمس مـن مغربهـا، كان لعجز نمرود عن فهم ما أراد إبراهيم عليه السـلام"[(4)] . وهـذا يوحـى بأن فى الانتقال المحمود مـا قـد يمثـل دحضـاً لآراء الخصـم وتفنيدهـا ،

(1) انظر : مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠٥ .

(2) السابق نفسه ص٣٠٥ .

(3) مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠٥ .

(4) السابق ونفس الصفحة ، والأشعرى يشير هنا إلى قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذى حـاج إبراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحى ويميت قال أنا أُحى وأميت قـال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فـأت بهـا مـن المغـرب فبُـهت الـذى كفـر =

المحمود مما قد يمثل دحضاً لآراء الخصم وتفنيدها ، خاصة إذا حرص ذلك المتنقل على الالتزام بما شدد عليه الأشعرى من شروط الانتقال المحمود، والتي تتمثل في أن " كل ما تعلق ذكره بنصرة ما ابتدأ به أولا، سائلاً أو مجيباً ، فذلك استقامة على حكم النظر والاستمرار على رسم الجدل ، إذ ليست الدلالة حرفاً ولا حروفاً ولا كلمة ولا كلمات، بل يجب أن يتبع بعضها بعضاً حتى يصير مجموع ذلك دلالة وحجة وعلامة لصحة قول "[1] .

والمتبع لمنهج الأشعرى فى مصنفاته يجده التزم هذا الأسلوب فى كتاب "الإبانة" بصورة أكثر من التزامه به فى "اللمع" ، من حيث إن الكتاب الأول قد ألفه الأشعرى عقيب تحوله عن المعتزلة[2] . ومن هنا كان ذلك الكتاب يحمل فورة جدلية واضحة ، فكان الأشعرى يلجأ فى مواقفه الجدلية إلى بعض من الانتقالات التي يرى أنه يوضح من خلالها

﴿والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ . سورة البقرة . الآية (٢٥٨) . قال ابن كثير : أن النمرود أراد أن يدعى لنفسه مقام الإحياء والإماتة مكابرة ويوهم أنه فاعل لذلك وأنه هو الذى يحيى ويميت .. ولهذا قال له إبراهيم "فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب" .. فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة فى هذا المقام بُهت أى أُخرس فلا يتكلم وقامت عليه الحجة قال تعالى : ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾. قال ابن كثير والمقام الأول يكون كالمقدمة للثانى ويبين بطلان ما أدعاه نمرود فى الأول . انظر : تفسير القرآن العظيم . الجزء الأول ص٣١٣ .

[1] مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠٥ ، ٣٠٦ .

[2] يثبت ذلك العديد من الباحثين، و من بينهم ، على سبيل المثال ، د. جلال عبد الحميد موسى الذى يرى أن الأشعرى ألّف هذا الكتاب بعد تحوله مباشرة عن المذهب الاعتزالى، وأن الكتاب يحمل خصومة مسرفة للمعتزلة. انظر: نشأة الأشعرية و تطورها ص ٥٦ .

الحقيقة للخصم . ومن ذلك على سبيل المثـــال مـــا انتهجـــه الأشـــعرى فى باب "إثبات رؤية الله سبحانه بالأبصـــار فى الآخـــرة" ، فبعـــد أن يستشـــهد بقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئـــذ نـــاضرة . إلى ربهـــا نـــاظرة﴾ [1] ، ويدلـــل بذلك على أن الوجوه ترى الله تعالى يـــوم القيامـــة ، يســـتطرد فى الإشـــارة إلى معانى النظر المتعددة ثم يثبت فى النهاية مـــا يريـــده"[2] .

عرضنا فيما سبق لآداب الموقف الجـــدلى عنـــد الأشـــعرى والـــذى اتضح لنا من خلاله مدى اهتمام هذا الإمام بمـــا ينبغـــى أن يتبـــع فى هـــذه المسألة من أصول وقواعد تجعل هذا الموقف موظفاً لإزالـــة التبـــاس فى فـــهم

---

[1] سورة القيامة . الآيتان (٢٢ ، ٢٣) .

[2] انظر كتاب الإبانة ص٣٥ ، ٣٧ ، والامثلة على استطرادات الأشعرى فى مواقفه الجدلية مع المعتزلة فى هذا المصدر متعددة . ومن ذلك أن الأشعرى فى رده على من قد يتساءل عن معـــنى قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ . سورة الأنعام . الآية (١٠٣) ، قائلاً يحتمل أن يكون لا تدركه فى الدنيا ، أوْ يعنى لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين ،يستطرد الأشعرى، فى غضـــون ذلك، ليجيب عن سؤال سائل يقول : قد استكبر الله تعالى سؤال السائلين له أن يرى بالأبصار. فقال : "يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلـــك فقالوا : أرنا الله جهرة" . سورة النساء . الآية (١٥٣) .فيشير الأشعرى إلى أنه يُقال لهـــم : إن بنى إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل ، على طريق الإنكار لنبوة موسى عليه السلام وترك الإيمان به حتى يروا الله لأنهم قالوا : لن نؤمن بك حتى نرى الله جهرة . فلما سألوا الرؤية على طريـــق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتى يريهم الله نفسه ، استعظم الله سؤالهم من غير أن تكـــون الرؤية مستحيلة عليهم ، كما استعظم سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ، من غير أن يكون ذلك مستحيلاً ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبى الله حتى ينزل عليهم من الســـماء كتاباً . ثم يعود الأشعرى بعد ذلك إلى إيراد الأدلة على إثبات رؤية الله عز وجل يوم القيامـــة . انظر الإبانة ص٤٧ ، ٤٨ ، انظر كذلك ص٤٩ وما بعدها .

جوانب الدين، أو للدفاع عن الدين فى وجه الطاعنين، ورأينا كيف اهتم الأشعرى بما يجب أن يكون عليه هذا الموقف فى موضوعاته التى يتناولها ؛ ففرق بين الجدل المحمود والجدل المذموم؛ فأوضح أن الأول منهما هو ما يكون بالوجه الحسن من أجل إيصال حقيقة جديدة، أو الدفاع عن عقيدة إيمانية تمامًا كما حث القرآن الكريم على ذلك . كما تناول الأشعرى السمات التى ينبغى أن يتحلى بها طرفا الموقف الجدلى "السائل والمجيب" ، من الالتزام بالسمات الخلقية كالصبر والصدق ، والتحلى بسعة الفهم والأمانة العلمية .

ويمكن لنا أن ننتقل بعد ذلك لمعالجة مسألة مهمة حدد فيها الأشعرى أُسساً جدلية أخرى ، وهى ما يتعلق بالسؤال الجدلى .

٢- السؤال الجدلى :

لقد بدأ الأشعرى بتحديد معنى مغايراً السؤال لجدلى فرّق فيه بينه وبين معنى السؤال بصفة عامة .

وقد تنبه الأشعرى بداية إلى تحديد المقصود بالسؤال الجدلى، وهو السؤال الذى يرى أنه يوضع للاستخبار، "فحقيقة هذا السؤال هو الاستخبار ومعنى الاستخبار هو طلب الخبر"[(١)] . ومعنى ذلك أن هذا السؤال يكون للاستعلام عن مسألة ، طالما أن الغرض من الجدل "هو إلزام الخصم وإسكاته إن كان الجدلى سائلاً ، وإن كان مجيباً حافظاً

(١) مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٤ .

للرأى أن لا يصير ملزماً من الخصم"[1] . ولذلك فرق الأشعرى بين هذا المعنى للسؤال الجدلى "والذى يوضع للاستعلام والتقرير"[2]، وبين معنى السؤال بصفة عامة من حيث "إن هذا الأخير لا يحمل معنى الاستخبار كنحو سؤال العبد ربه تعالى — كما جاء فى القرآن الكريم — إذ قال ﴿رب اغفر وأرحم﴾ [3] ، "حيث إن أهل اللغة يسمون ذلك سؤالاً وليس باستخبار"[4] .

وهكذا يتنبه الأشعرى — منذ الوهلة الأولى — إلى تحديد معنى "السؤال الجدلى" اصطلاحياً ، الأمر الذى يعكس حرصه على أن تكون المعانى واضحة .

أ- أقسام السؤال الجدلى :

حدد الأشعرى أقساماً متعددة للسؤال الجدلى ؛ منها ما يختص بطبيعة هذا السؤال بصفة عامة وما يتعلق بموضوعه ، ومنها ما يتصل بوجوه هذا السؤال وصيغته اللغوية، ومدى تحديد السائل للإجابة المطلوبة من خصمه .

ويرى الأشعرى أن السؤال الجدلى ينقسم بحسب موضوعه إلى ثلاثة أقسام :

---

(1) التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ . الجزء الأول ص٢٤٢ .

(2) مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٤ .

(3) سورة المؤمنون الآية (١١٨) .

(4) ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٤ .

الأول : السؤال عن المذهب ، وهو كأن يقول السائل لخصمه "ما تقول فى كذا" ؟ وهذا السؤال إنما يستعمل لاستعلام المذهب"[1].

الثانى : السؤال للدلالة على المذهب : وهذا يختص بالاستعلام عن الدليل الذى من أجله اختير مذهب ما ، ويضرب له الأشعرى مثالاً "بمن عُرِف عنه اعتقاده ومذهبه أنه القول بحدث العالم ؛ فيبتدئ ــ أى السائل ــ بالمطالبة بالدلالة على حدث العالم[2]" وهذا الصنف من الأسئلة له أهميته عند الأشعرى من حيث إنه أساس فى الموقف الجدلى، وهو الذى يظهر التمسك بالمذهب من عدمه " إذ أن المذاهب النظرية التى طريقها الاجتهاد قد يمكن الرجوع فيها، ويجوز على معتقده تركه والعدول عنه ، فالأحوط أن يقرر عليه ذلك سائل، حتى يبين له منه ما لا يمكنه بعد ذلك أن يرجع عنه"[3] . ومن هنا كانت أهمية هذا الصنف من الأسئلة .

الثالث: السؤال للمطالبة بوجه الدلالة ؛ إذ ينبغى أن تكون العلاقة بين الدلالة وبين المدلول عليه واضحة من جهة المجيب ؛ وأن لا تكون من ضروب الدلالات العامة .ويمكن أن تفسر ذلك بما يلى: إذا كان مذهب أحد الخصمين هو القول بحدث العالم ، فإنه مطالب بالدلالة على ذلك، ثم بأن يوضح وجه العلاقة بين ما ساقه من دلالة وبين ذهابه إلى أن العالم حادث .

---

[1] مجرد مقالات الأشعرى ص ٢٩٤.

[2] السابق نفسه ص ٢٩٤.

[3] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٥ .

والواقع أن هذه الأضرب الثلاثة من الأسئلة مترابطة، وكل منها يؤدى إلى الآخر . وهى كما نرى تبدأ بالسؤال عن المذهب لأنه هو الذى يحدد اتجاه صاحبه بداية ، ثم تكون الأسئلة التالية متفرعة عن هذا السؤال ؛ إذ لا يمكن طرح أسئلة أخرى طالما لم يبد الخصم مذهباً معيناً. وقد أثبت الأشعرى نفسه ضرورة ترتب هذه المعانى من الأسئلة كل على الآخر ؛ فهو يقول فى معرض رده على سؤال سائل : "لم زعمتم أن البرهان على المذهب لا تسوغ المطالبة به إلا بعد معرفته ؟ " ، فيقول الأشعرى : "من قبَل أنك لا تسأل الدلالة على صحة قول قد قاله ومذهب قد ذهب إليه ، لأن المسؤول لا يكون دالاً على صحة ما لم يقله، و لم يذهب إليه ، ولا بدله من أن يقرن ذكر الدلالة بشيئ لأن الدلالة لا تكون دالة إلا على شيئ ، والمسألة لا تكون مسألة إلا عن مسؤول عنه . وإذا كان كذلك لم يكن أن يسأل عن الدلالة إلا على أمر قد وقف عليه أو خصمه قد ذهب إليه"[1] . ومعنى ذلك أن تحديد المذهب هو الذى يسوغ طرح المعانى التالية والتى يطلب معرفتها فى المدافعة الجدلية .

والواقع أن الأشعرى قد التزم فى مجادلاته بهذا اللون المنهجى الذى أشار إليه هنا ؛ فنجده فى "الإبانة واللمع" دائماً ما يقدم الدليل على صحة ما يذهب إليه ويبين وجه الدلالة فى ذلك[2].

---

[1] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠ .

[2]انظر : اللُّمع على سبيل المثال ص٢٦ : ٢٨ "حيث يقدم الأشعرى الدليل على ما يذهب إليه من أن البارى تعالى عالم ، مصدراً لذلك بسؤال يرى أنه صادر عن الخصم" فإن قال قائل : لم قلتم إن للبارى تعالى علماً به عَلِم.قيل له : لأن الصنائع الحكمية كما لا تقع منا إلا عن عالم،=

أما عن تقسيم السؤال الجدلى بحسب وجوهه وصياغته اللغوية فيرى الأشعرى أنه ينقسم إلى وجهين :

الأول : سؤال الحجر : ومعناه أن هذا السؤال يحجر ويمنع مما عداه ، وشرطه أن يقول السائل فيه هل الإجابة عليه "كذا أم كذا ؟" وعلى ذلك فإن "سؤال الحجر هو ما تكون الإجابة جزء من السؤال ، كقول القائل كان كذا أو لم يكن ؟ فيكون جواب المسؤول أن يقول : قد كان أو لم يكن ، وأى ذلك قال فهو جزء من سؤال السائل"[1] .

الثانى : سؤال التفويض : وهو أن يفوض السائل إلى خصمه الجواب فيقول "ما تقول فى كذا ؟ مطلقاً ، فيكون قد فوض إليه وخيّره فى الجواب[2] . ومعنى ذلك أن سؤال التفويض هو أن لا يكون فى جوابه شئ من سؤال السائل ، وذلك كقول السائل "كيف قال ؟ " فيجيبه المسؤول بأن يقول : "كذا وكذا"[3] .

=كذلك لا تحدث منا إلا من ذى علم ، فلو لم تدل الصنائع على علم من ظهرت منه منا لم تدل على أن من ظهرت منه فهو عالم ، فلو دلت على أن البارى عالم قياساً على دلالتها على أنا علماء ، و لم تدل على أن له علماً قياساً على دلالتها على أن لنا علماً لجاز لزاعم أن يزعم أنها تدل على علمنا ولا تدل على أنّا علماء . وإذا لم يجز هذا لم يجز ما قاله هذا القائل ، وانظر كذلك : الإبانة ص٦٣ : ٦٥ على سبيل المثال .

[1] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٥ .

[2] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٥ .

[3] السابق نفسه و نفس الصفحة .

على أية حال فإن هذين القسمين الأخيرين اللذين يحددهما الأشعرى يختلفان تماماً مع ما أشيع من تطور لصيغة الأسئلة فى الوسط الكلامى فيما بعد وخاصة ما عُرف بطريقة القسمة والتشقيق الجدلى والتى "تتمثل فى أن يضع المرء عدة فروض ، اثنين فصاعدًا ثم يعمد إلى بيان فسادها جميعاً ليبطل الأساس الذى قامت عليه ، أو إلى إفسادها ما عدا واحداً منها ليثبت أنه الفرض الوحيد المقبول"[1] .

وأيّما كان الأمر فإن تقسيمات الأشعرى هذه للسؤال الجدلى قد كان لها أثر كبير فيمن تصدوا للتصنيف فى هذه المسألة فيما بعد، خاصة من جانب الأشاعرة التاليين . فنجد أن الأمام الجوينى ينحو فى تصنيفه لأقسام السؤال الجدلى منحى مشابهاً تماماً لما ذهب إليه الأشعرى . فالجوينى يرى أن "السؤال الجدلى ينقسم إلى أربعة أقسام : أولها سؤال عن هِلّية المذهب ، يعنى : هل لك مذهب أم لا ؟ ثم عن نفس المذهب، ثم عن البرهان ، ثم عن تصحيح البرهان .." [2] . كما أن الجوينى قد ساق تقريباً نفس المعنى الذى أورده الأشعرى عن ترتب هذه الأسئلة على بعضها البعض فذهب إلى القول بأن "ثم أعلم أن هذه الأسئلة تترتب : فالسؤال عن هلية المذهب مرتب على السؤال عن المذهب .. والسؤال عن الدلالة بعد السؤال عن معرفة المذهب ، وعن وجه الدلالة

---

[1] د . حسن الشافعى : المدخل إلى دراسة علم الكلام ص١٩٣ .

[2] الجوينى : الكافية فى الجدل ص٧٧ .

بعد المعرفة بما يدعيه"[1] . وهذا يعكس بالطبع أصالة آراء الأشعرى فى هذا المقام

ب- أقسام الجواب :

مثلما قسم الأشعرى السؤال الجدلى إلى عدة أقسام فإنه يحرص على اتباع نفس الصنيع عند حديثه عن الجواب عن هذا السؤال . ومن المفيد أن نشير بداية هنا إلى تعريف الأشعرى للجواب بأنه "الإخبار عما تعلق به السؤال . وكل نحو من السؤال يليه نحو من الجواب"[2] . وإن كان الأشعرى يرى أنه ليس كل إخبار جواباً، إذ كان من الإخبار ما قد يبتدئه المجيب من غير أن يكون عن سؤال[3] .

أمَّا أقسام الجواب فجعلها الأشعرى مقابلة لأقسام السؤال تماماً، وقد أسماها بأضرب الجواب وساقها على النحو التالى :

(أ) : ضرب هو الإخبار عن ماهية المذهب .

(ب) : ضرب منه الإخبار عن برهانه .

(جـ) : ضرب منه عن ماهية برهانه .

(د) : ضرب منه إجراء العلة ، أى ما يختص بوجه الدلالة .

---

[1] الجوينى : الكافية فى الجدل ص٧٨ ، ٧٩ .

[2] ابن فورك : مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٥ .

[3] انظر : السابق ص٣٠٠ .

على أن الناظر إلى هذه الأقسام يلمس قدراً كبيراً من تنبه الأشعرى للمسألة التى يعرض لها هنا ؛ بمعنى أن تخصيصه لكل سؤال جواباً يقابله يحدد تدافع المعانى وترتبها فى الموقف الجدلى ، بحيث لا يتم الانتقال من معنى إلى آخر إلا إذا صار هذا واضحاً جلياً . وتمسك الأشعرى بهذا النهج هنا يدفعنا إلى القول بأنه كان على فطنة بأن يزاوج فى جداله بين أصلى العقل والنقل ؛ فإذا ما قدم الخصم الدليل على مذهبه كان عليه أن يعمد إلى البرهنة العقلية على مدى صلة الدليل بذلك المذهب ، وإذا كان الأشعرى اتجه إلى الاعتماد على العقل كثيراً فى جداله فذلك كان مما لم يكن عنه بد، لأنه "كان من الصعوبة بمكان الاعتدال التام لدى الأشعرى . وإعطاء كل من العقل والنقل حقه ، خاصة إذا كان الجدال مع أصناف متعددة من الخصوم لكل منهم مذهب خاص يلتزم به.." [1] .

٣- المعارضة فى السؤال الجدلى :

تعد المعارضة ، التى هى طريقة صحيحة فى إسقاط كلام الخصم ؛ لأنها مساواة للخصم فى مقصده على نقيض مراده" [2] ، أقول تعد المعارضة لوناً من تدافع الأسئلة فى الموقف الجدلى عند الأشعرى ، وهو يعدها نوعاً من الأسئلة ، لأنها تشتمل على الإخبار أيضاً [3] . أمَّا وجه تعلق "المعارضة" بالسؤال فإن الأشعرى يوضحه بمثال مفاده "قد يقال

---

[1] د . جلال عبد الحميد موسى : نشأة الأشعرية وتطورها ص٢٠٠ .

[2] الجوينى : الكافية فى الجدل ص٤١٢ .

[3] انظر : مجرد مقالات الأشعرى ص ٣٠٠ .

لواحدٍ "أتقر بمحمد" فيقول "نعم" فيقول : "ما دليلك ؟ " فيقول "إطباق المسلمين على الإقرار به . فيقول "أفتقر بعيسى" ؟ فيقول "لا" . فيقول له "فإذا كنت إنما أقررت بمحمد لإطباق المسلمين على الإقرار به ، فيجب أن تقر بعيسى لإطباق المسلمين على الإقرار به"[1] .ووجه تعلق المعارضة بالسؤال كما يراه الأشعرى هنا : أنه إذا عارضه أن يقر بعيسى فذلك استخبار منه بقوله فى ذلك[2] .

ومعنى ذلك أن المعارضة لون من التناقض الذى يظهر من خلال تدافع المجادلة "فهى سؤال يقع عُقيب دعوى تقدمت كما يقول الأشعرى"[3] ، وهى بذلك أساس إذاً فى الموقف الجدلى .

وقد أثبت الأشعرى لذلك صحة المعارضة وجعل لها حكم السؤال والجواب وإن كان يرى أن كل معارضة سؤال ، وليس كل سؤال معارضة[4] . وهذا يتسق مع رؤيته التى أشرنا إليها فيما سبق ، والتى فرق فيها بين السؤال بصفة عامة وبين السؤال الجدلى ، الأمر الذى يوضح أن المعارضة إنما تختص بالجدل فحسب "فالجدل قائم على المعارضة ، فهى الطريقة الصحيحة فى إسقاط كلام الخصم"[5] .

---

[1] مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠٠ .

[2] السابق نفسه ونفس الصفحة .

[3] مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠٠ .

[4] مجرد مقالات الأشعرى ص ٣٠٠ .

[5] د . فوقية حسين محمود : مقدمة تحقيق كتاب الكافية فى الجدل للأشعرى ص٦٤ .

ونظراً لما يمكن أن تبلغه المعارضة من أهمية فى الموقف الجدلى من حيث كونها تكشف عن معانٍ جديدة فى المدافعة وإظهار حقيقة مذاهب المتخاصمين ، فإن الأشعرى قد أثبت صحتها وحدد الوجوه التى ينبغى أن تكون عليها المعارضة حتى تبدو فى وجهها الصحيح .

وفى ذلك أبرز الأشعرى **وجهين** لصحة المعارضة ، يمكن أن نشير إليهما على النحو التالى :

أولاً : أن يكون فى أحد الشيئين علة يجمع بينهما من أجلها فيكون أحدهما محكوم له بحكم الآخر[١] . ويتضح من المثال السابق الذى ضربه الأشعرى أن العلة التى من أجلها يجمع بين الشيئين هو ما يشير إليه المعارض من إطباق المسلمين على الاقرار بمحمد ﷺ وبعيسى عليه السلام .

ثانياً : أن يكونا ـ أى الشيئين ـ من جنس واحد وفى هذه الحالة يمكن أن يقاس أحدهما بالآخر[٢] .

هذان هما الشرطان اللذان وضعهما الأشعرى لصحة المعارضة، مشيراً إلى أن كل معارضة لا تلتزم بهما تدخل دائرة البطلان ، ولا يعتد بها فى الجدل[٣] .

---

[١] مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠٠ .

[٢] مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠٠ .

[٣] السابق نفسه ص٣٠٠ .

وقد اهتم الأشعرى أيضا بتحديد أضرب المعارضة وأقسامها حتى يتبين صحيحها من فاسدها بصورة جلية . ويمكن أن نوضح تلك الأضرب على النحو التالى :

أولاً : المعارضة بما لا يقوله السائل ولا يقوله خصمه ولا يقدح فى فساد مذهب الخصم ، فكأن السائل هنا معارض لنفسه[1]. ويضرب الأشعرى مثالا لذلك "بمعتزلى يقول لمعتزلى آخر : إذا زعمت أن تكليف مالا يطاق فاسد لما صح من عدل الله تعالى وحكمته ، فما أنكرت أنه لا يجوز تكليف من علم أنه يعطب ، والتماس ما علم أنه لا يكون لما صح من حكمته"[2] . فنفس المذهبين أمر واحد هنا لأن التكليف بما لا يطاق، والذى يتفق مع عدل الله وحكمته، يتفق مع القول بأن الله لا يكلف من علم أنه لا يستطيع ، فكأن الحكمين بمعنى واحد هنا، "ولذلك فإن مثل هذه المعارضة فاسدة عند الأشعرى لأن السائل كأنه يقابل نفسه ويعارض مذهبه ، لأن قول السائل كقول المجيب تماماً"[3] . ويقطع الأشعرى بأن هذا اللون من المعارضة لا يكون جدلاً .

ثانياً : المعارضة التى تشتمل على أن ما يعارض به السائل لا يقع فى مذهب خصمه ، وذلك ـ كما يقول الأشعرى ـ "كأن يقول معتزلى لمثبت إذا زعمت أن الله تعالى يخلق الفعل ويعذب عليه ، فلم لا يجوز أن يضطره إليه ويعذبه عليه ؟ . فمذهب السائل يختلف عن نظيره

---

[1] مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠١ .

[2] السابق نفسه ص٣٠١ .

[3] مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠١ .

عند المجيب هنا، وهذا ما يجعل من المعارضة صحيحة كما يرى الأشعرى [1]".

ثالثاً : ضرب آخر من المعارضة وفيه يحاول كل من السائل والمجيب ـــ أى الخصمان المتنازعان ـــ التدليل على صحة أحد الأمرين أو فساده بصحة الآخر وفساده[2] .

رابعاً : ضرب من المعارضة الفاسدة : وهو معارضة الدعوى بالدعوى ، وذلك كقول المثبت للمعتزلى : إذا جاز أن تقول إن فعل الخلق غير مخلوق ، جاز أن أقول أنه مخلوق" . فهذا اللون من المعارضة فاسد كما يرى الأشعرى ولا يستحق السائل عليه جواباً .

خامساً : الضرب الخامس من أضرب المعارضة عند الأشعرى هو ما يتمثل فى معارضة العلة بالعلة والذى يعده الأشعرى أصح أنواع المعارضة .

---

[1] مجرد مقالات الأشعرى ص ٣٠١

[2] مجرد مقالات الأشعرى ص ٣٠١ ، ويمكن القول بأن هذا اللون من ألوان المعارضة الجدلية قد تطور فيما بعد فى محبط علم الكلام واتخذ صوراً عدة ظهرت فى المجادلات؛ منها على سبيل المثال : طريقة القسمة والتشقيق الجدلى ، والتى تتمثل فى أن يضع المرء عدة فروض ، اثنين فصاعداً ثم يعمد إلى بيان فسادها جميعا ليبطل الأساس الذى قامت عليه ، أو إلى إفسادها ما عدا واحدا منها ليثبت أنه الفرض الوحيد المقبول" . د . حسن الشافعى : المدخل إلى دراسة علم الكلام ص١٩٣ ، وهناك أيضاً طريقة الخلف أو برهان الخلف "والذى يعتمد على أسلوب القسمة بأن يردد الأمر بين احتمالين لا ثالث لهما ـــ فى نظر المستدل ـــ فإذا بطل أحدهما وهو ما يدعيه الخصم ثبتت دعواه هو بدون دليل آخر ، بناء على أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان" . انظر : المدخل إلى دراسة علم الكلام ص١٩٦ ، ١٩٧ .

ومثال ذلك ـــ كما يورده الأشعرى ـــ كقـــول الموحـــد للجســـمى إذا زعمت أن الله سبحانه جســـم ، لأنـــك لم تعقـــل فـــاعلاً إلا جســـماً ، فهلا زعمت أنه مؤلف لأنك لم تعقل فـــاعلاً إلا مؤلفـــاً؟"[1].

فالأول وضع علته وبنى كلامه على المعقـــول ، والثـــانى بـــنى قياســـه على المعقول فى مقابل ذلك . ونظراً لقـــوة المقابلـــة هنـــا فـــإن الأشـــعرى يصف ذلك بأنه "أصح ما يكون مـــن المعارضـــة"[2] .

وحول هذا الضرب من أضرب المعارضة بـــالذات اهتـــم الأشـــعرى بأن يوضح للمسؤول الوجهة الـــتى يســـتطيع مـــن خلالهمـــا الـــرد علـــى خصمه، يقول : "فإذا وقع مثل هـــذه المعارضـــة فـــالواجب للمجيـــب أن يقول لمعارضه : "إن الذى الزمتنى وعارضتنى به غـــير مشـــبه لمـــا عـــارضت عليه من وجه كيت وكيت . فإن أجرى علته والتزم القـــول بمؤلـــف قادهـــا وطردها ونقض التوحيد ، وإن فرق بينهما كان لعلتـــه ناقضـــاً"[3] .

وبهذه الإشارة إلى معنى المعارضة وتوضيـــح مكانهـــا كـــأحد صـــور السؤال الجدلى تكون الدراسة قـــد أجلـــت مفـــهوم هـــذا الســـؤال عنـــد الأشعرى ، وهو مااختتم به البحث معالجتـــه لأســـس الجـــدل عنـــد ذلـــك الإمـــام.

---

(1) مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠١ .

(2) السابق ونفس الصفحة .

(3) مجرد مقالات الأشعرى ص٣٠٢ .

خاتمة

يتضح لنا من خلال ما سبق أن الأمام أبا الحسن الأشعرى قد أولى مسألة الجدل عناية كبيرة ؛ فحدد أسسها بما يظهر عن الفرق بين الجدل المحمود والآخر المذموم ، والوجوه التى ينبغى أن يستخدم الجدل فيها حتى يؤدى غايته فى الكشف عن الحقيقة .

وعلينا أن ننوّه فى هذا المقام بالجهد الكبير لابن فورك الذى كان له الفضل الأول فى جمع آراء الأشعرى فى باب الجدل وذلك فى كتابه " مجرد مقالات الأشعرى " ، و الذى يُعد من المصادر الرئيسية التى كان لها الفضل الأول فى إعداد هذا البحث .

وإنّ ثمة سؤال أن يطرح نفسه هنا يتعلق بالغاية التى من أجلها اهتم الأشعرى بمسألة الجدل على هذا النحو الذى لمسناه من خلال هذا البحث ؟ !

ويمكن القول بأن الأشعرى ــ وهو الذى عاش فى كنف المعتزلة ردحاً طويلاً ــ قد تراءى له أن يدلى بدلوه فى هذه المسألة حتى يكشف عن أسسها بعدما وقف على مجادلات المعتزلة، ورأى بعضاً من عجزها عن الوصول إلى المطلوب ، وحتى يحدد أيضاً الأسس التى سيعتمد عليها فى مجادلاته معهم ومع الفرق الكلامية الأخرى . لقد كانت كل منطلقات الأشعرى ــ كما لمسناها ــ تعكس من هذه الوجهة ، وأن الآداب التى حددها للجدل إنما تخص توظيف تلك المسألة فى مجال "علم الكلام"[1] . فالأشعرى ينطلق فى آرائه هنا من أساسيات علم الكلام ويربط بين الجدل وبين الأمور التى يبحثها هذا العلم ؛ مثل النظر والاستدلال ، فضلاً عن أن الأمثلة التى يسوقها لتفسير آرائه هى نماذج مستمدة

---

[1] من المعروف أن الجدل بمعناه العام الذى يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة لا يمكن قصره على محيط علم الكلام فحسب ؛ إذ يمكن توظيفه فى مجال علم الفقه مثلاً، وهو ما خصص له الجوينى كتابه "الكافية فى الجدل" .

من داخل علم الكلام ؛ فهو يتحدث عن أمثلة تتعلق بحدوث العالم ، وتناهى الأجسام ، وخلق الله تعالى للأفعال، ومسألة التكليف بما لا يطاق ، ومسألة التجسيم ، كما يعرض لمناظرات "بين معتزلى ومعتزلى" وبين "موحد وآخر ملحد" ، وبين مثبتٍ "للصفات ونافٍ لها" ، وكل تلك أمور هى لب اهتمام علم الكلام .

وأما السبب الآخر لاهتمام الأشعرى ببحث مسألة الجدل فلعله يرتبط بهدف عام توحى لنا به ثمة إشارة لابن فورك مفادها "أن فى الوقوف على الجدل والاشتغال به فرائد جمة ومنافع للناظرين سائلاً ومجيباً"[1] ، فلعل الأشعرى ، إدراكاً منه لأهمية ذلك ، قد تنبه إلى أن يعلِّم المناظرين والمدافعين عن الدين — ومنهم تلاميذه على وجه الخصوص — الأسس التى ينبغى أن تكون منطلقاً لهم فى جدالهم مع أرباب الديانات الأخرى ، حيث كان الأشعرى يدرك مدى خطورة آراء هؤلاء على ثبات المعتقد الإسلامى .

وصدق هذه الفرضية يدفعنا إلى القول بأن الأشعرى قد لعب بذلك دوراً مشابها لما كان يقوم به بعض علماء النصارى فى الشرق من تعليم المسيحيين

---

[1] مجرد مقالات الأشعرى ص٢٩٢ .

للأساليب التى يمكن أن يجادلوا بها المسلمين[1] ، كمـــا يبـــدو ذلـــك واضحـــاً لـــدى يوحنا الدمشقى مثـــلاً[2] .

وعلى أية حال لقد حــــرص الأشـــعرى ــ كمـــا تبـــين لنـــا ــ أن تكـــون منطلقاته فى تحديد أسس الجـــدل مســـتمدة ممـــا جـــاء فى القـــرآن الكـــريم فى هـــذا

---

[1] أشار بعض المستشرقين إلى أن الأشعرى قد لعب فى الإسلام الـــدور الـــذى لعبـــه أكـــبر اللاهويتيين فى بدايات المسحية ، حيث صحح الأشعرى العديد من الأخطاء المذهبية المتعـــددة" انظر:

Cyril Glasse : Dictionnaire Éncyclopédique de l'islam, éd. Boraas, Paris, 1991,p.44.

Alain Ducellier : Chrétiens d'Orient et Islam au moyen âge , VII^e S.- XV^e S., éd., Armand colin/Masson, Paris , 1996, P. 103 – 105 .

[2] يوحنا الدمشقى (ت ٧٤٩م) أحد لاهوتيى الكنيسة الشرقية فى القرن السابع الميلادى ومـــن أكبر المدافعين عن العقائد المسيحية فى تلك الحقبة . انظر فى ترجمته :

Pierre Pierrad : Dictonnaire des Prénoms et des saints, Paris , 1994 , P.119 . Jacques Deschamps : Art. Jeam de Damas Saint (Damascène) in : Dictionnaire des Philosophes, directeur de la publication: Denis Huisman, éd. Presses universitaires de France, Paris, 1984, P,P.1500 , 1501 .

وقد دخل يوحنا الدمشقى هذا فى جدال عنيف مع المسلمين حول وحدة الله وطبيعة الكلمـــة ، معتبراً أن الإسلام عقيدة فلسفية ، ولذلك بدأ يعد العدة لمواجهتها ، ويضع أصول الجدل معـها، ويبين للمسيحى طريق مناقشة العقيدة الإسلامية . انظر د . على سامى النشار: نشـــأة الفكـــر الفلسفى فى الإسلام ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثامنة ، ١٩٨١م ، الجزء الأول ص٩٢ ، ٩٣ ، وللوقوف على أساليب الدمشقى هذه كتابه :

Écrits Sur L' islam, Présentation, Commentaires et traduction par Raymond Le Cos , in Sources Chretiennes N 303 , éd . Le Cerf , Paris , 1992 , P. 239 – 245 .

وقد قاوم المعتزلة الأوائل أفكار الدمشقى وأساليبه مقاومة عنيفة ضمن مقاومتـــــهم الشـــديدة للمنسيحية . د . على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـــ١ ص٩٣ .

الجانب، فنراه يستشهد بالآيات الكريمة ويتمثل المعانى القرآنية، الأمـــــر الـــذى يثبـــت أصالة وقفته الإسلامية حول هذا الأمــــــر .

ويمكن لنا أن نشير إجمالاً لمعالم منهج الأشعرى فى الجــــــدل ، والأســـس الـــتى حددها لهذه المسألة ، وذلك على النحــــو التـــالى :

أولاً : فرق الأشعرى بين الجدل الذى يريد السائل فيه معرفـــــة شـــئ مبـــهم، وبين الجدل مع المخالفين أو الملحديـــن . وفيمـــا يخـــص هــذا اللـــون الثـــانى كـــان الأشعرى موضوعياً إلى حد بعيد ؛ حيـــــث كـــان يعـــرض لآراء الخصـــوم ويناقشـــها بصورة واضحة ؛ وهذا يتفـــق مـــع وجهـــة الأشـــعرى فى منهجـــه "حيـــث كـــان الأشعرى يرى أن بيان أصول الديانة لا يكـــون بعـــرض هـــذه الأصـــول فحســـب ، وإنما بالذات بدحض أقوال الخصوم فيها ، لإبطال البـــاطل ، وإظـــهار الحـــق"[1] .

ثانياً : عند المجادلة مع المخـــــالفين نبـــه الأشـــعرى علـــى ضـــرورة مناقشـــة أفكارهم بصورة مستفيضة، ثم حشد الأدلة فى الــــرد عليـــهم ، لأن الموقـــف الجـــدلى يكون دفاعياً ، فى المقام الأول ، للذب عن أصـــول الديـــن.

ثالثاً : أشار الأشـــعرى إلى أن الموقـــف الجـــدلى ينبغـــى ألا يتدافـــع طالمـــا أُقيمت الحجة والبرهان على الخصم، وظهر فساد مـــا يذهـــب إليـــه . كذلـــك اهتـــم الأشعرى بـــإبراز أن الموقـــف الجـــدلى الصحيـــح ينبغـــى ألا يعتريـــه الانقطـــاع أو استطراد الخصمين إلى مسائل فرعية ليســـت ذات علاقـــة بموضـــوع المجادلـــة ، وإنمـــا ينبغى أن تكون المجادلة متدافعة، وإنْ حدث اســـتطراد أو انقطـــاع فينبغـــى أن يكـــون لاستجلاء غامض أُشكِل على أحد الخصمين .وهنا يمكـــن القـــول بـــأن الأشـــعرى ـــ بهذه الإشارة ـــ قد نجح فى تخليص الجدل من بعض الآفـــات والعيـــوب الـــتى اعترتـــه فى العصور السابقة من عصور علم الكلام وهو مـــا اســـتفاد بـــه اللاحقـــون مـــن علماء الكلام فى عصر مابعد الأشـــعرى.

---

[1] د . فوقية حسين محمود : مقدمة تحقيق كتاب الإبانة للأشعرى ص١٣٤ .

رابعاً : أكد الأشعرى على إبراز السمات التى ينبغى أن يتحلى بها الخصمان فى الموقف الجدلى طالما أنهما ينشدان الحقيقة لوجه الله تعالى ؛ فأكد على وجوب أن يتحليا بالخلق القويم . وحسن الاستماع مع التمتع بالفطنة وروح الأمانة العلمية ، وما يتصل بها من الوضوح فى طرح الأسئلة والدقة فى الإجابة عنها.

خامساً : اهتم الأشعرى بتحديد معنى السؤال الجدلى؛ والذى يتضمن معنى الاستعلام ، والاستخبار ، وفرق بينه وبين معنى السؤال بصفة عامة ، حيث لا يتضمن هذا الأخير، برأيه، الاستعلام عن أية مسألة، وقد قسم الأشعرى هذا السؤال إلى **عدة أقسام** هى :

(أ) السؤال عن المذهب .

(ب) السؤال للدلالة على المذهب .

(جـ) السؤال للمطالبة بالعلاقة بوجه الدلالة بين الأمرين .

ورأى الأشعرى أن تلك الأضرب من الأسئلة إنما تترتب على بعضها البعض ، ومن هنا كانت أضرب الجواب التى حددها تأتى فى مقابلها ، حيث أوضح أن تلك **الأضرب الأخيرة** ينبغى أن تكون على النحو التالى :

(أ) ضرب هو الإخبار عن ماهية المذهب ,

(ب) ضرب هو الإخبار عن برهانه .

(جـ) ضرب منه عن ماهية برهانه .

ويمكن القول بأن الأشعرى قد وضع بذلك أساساً مهمًا من أسس الجدل بعامة ؛ حيث لا ينبغى أن يوجّه سؤال إلى الخصم إلا فى حدود ما يبديه : فلا يمكن المطالبة ببرهنة مذهب من المذاهب إلا بعد أن يعلن صاحبه ـــ عليه ـ أو أن ذلك هو مذهبه ، ثم تتم البرهنة عليه بعد ذلك .

سادساً : كشف البحث، من خلال مواقف أن الأشعرى الجدلية، أن هذا الإمام قد جمع فى مجادلاته بين أصلى العقل والنقل، و هو ما يعنى أنه اعتمد فى بحثه للآراء الكلامية على هذين الأصلين ، وقوفاً فى وجه المعتزلة أنصار الاتجاه العقلى.

سابعاً : أمّ بالنسبة للمعارضة الجدلية، فقد نجح الأشعرى فى توظيفها بما يعكس حسن استخدام العقل فى كشف عيوب مذهب الخصم، وإن كان قد وضع لها ضابط ف أنها يجب أن تتم فى إطار الدين؛ فلا ينبغى، مثلا على خصم أن يعارض خصمه بما لا يوجد فى مذهبه

ثامناً : ظهر أثر الأشعرى جليًّاً فيمن تصدى للكتابة و التأليف فى مسألة الجدل فى العصور التالية ؛ ففضلاً عن أن ابن فورك قد اهتم بجمع آراء الأشعرى الجدلية فى مؤلفة هذا الذى اعتمدنا عليه كأحد مصادر هذه الدراسة ، فإن أثر منهج الأشعرى الجدلى قد ظهر بصورة واضحة فى تآليف الجوينى الجدلية .

وأخيراً فإن تلك كانت محاولة لإبراز أسس الجدل كما حددها أبو الحسن الأشعرى ، فإن كنت قد وفقت فى عرضها هنا بما يكشف عن جوانب منهج الأشعرى حول هذه المسألة ويمثل إضافة لأسس منهجه الكلامى فلله الفضل والمنة، وإن كانت الأخرى فحسبى أننى حاولت .

هذا وبالله التوفيق ، وإليه يرجع الأمر كله

د . محمد سلامة عبد العزيز

مدرس الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم ـــ جامعة المنيا

أهم المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريــم :

ثانيـاً : مصـادر الدراسـة :

١ ــ الأشعرى (الإمام أبو الحسن ت ٣٣٠هـ) : الإبانة عن أصول الديانة ، جزآن ، تقديم وتحقيق وتعليق : د . فوقية حسين محمود ، دار الأنصار ، القاهرة ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م .

٢ ــ الأشعرى : رسالة أهل الثغر : والمسماة بأصول أهل السنة والجماعة ، تحقيق : د . محمد السيد الجليند ، سلسلة التراث الفلسفى ، القسم الأول : نوادر المخطوطات ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، ١٩٨٧م.

٣ ــ الأشعرى : اللُّمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع ، صححه وقدمه وعلق عليه : د . حمودة غرابة ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

٤ ــ الأشعرى : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، جزآن ، عنى بتصحيحه : هلموت ريتر ، سلسلة الذخائر (رقم ٦١) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠ م (وهى الطبعة التى ترجمت عن الطبعة الثالثةلدار النشر : فرانز شتاينر ، ألمانيا) ، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م .

٥ ــ التهانوى (محمد بن على) : كشاف اصطلاحات الفنون ، ثلاثة مجلدات ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ .

٦ ـ الجرجانى (على بن محمد الشريف ت ٨١٦هـ) : كتاب التعريفات ، تحقيق : د . عبد المنعم الحفنى ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٩٩١م .

٧ ـ الجوينى (إمام الحرمين ت ٤٧٨هـ) : الكافية فى الجدل ، تقديم وتحقيق وتعليق : د . فوقية حسين محمود ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٨ ـ ابن عساكر (أبو القاسم على بن هبة الله ت ٥٧١هـ) : تبيين كذب المفترى فيما نُسِبَ إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ .

٩ ـ ابن فورك (الإمام أبو بكر محمد بن الحسن ت ٤٠٦هـ) : مجرد مقالات الشيخ أبى الحسن الأشعرى ، تحقيق : دانيال جيماريه ، بحوث ودراسات كلية الآداب بجامعة القديس يوسف ، بيروت ، سلسلة جديدة (أ) . اللغة العربية والفكر الإسلامى رقم (١٤) ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٧م .

١٠ ـ ابن كثير (الإمام أبو الفداء اسماعيل ت ٧٧٤هـ) : تفسير القرآن الكريم العظيم ، أربعة مجلدات ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، دون تاريخ .

ثالثاً : أهم المراجـــع :

(أ) مراجع باللغة العربيـــة :

١ ـــ بـــدوى (د . عبـــد الرحمـــن) : مذاهـــب الإســـلاميين ، دار العلـــم للملايين ، بيروت ، الطبعـــة الأولى ، ١٩٩٦م .

٢ ـــ التفتازانى (د .أبو الوفا الغنيمى) : علم الكـــلام وبعـــض مشـــكلاته ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القـــاهرة ، دون تـــاريخ .

٣ ـــ حلمى (د . مصطفى) : قواعد المنهج الســـلفى فى الفكـــر الإســـلامى ، دار الدعوة ، القاهرة ، الطبعة الثانيـــة ، ١٤١٣هـــــ ـــ ١٩٩٢م .

٤ ـــ أبو ريان (د . محمد على) : تـــاريخ الفكـــر الفلســـفى فى الإســـلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعـــة الثانيـــة ، ١٩٧٣م .

٥ ـــ أبو زهرة (الإمام محمـــــد) : تـــاريخ الجـــدل ، دار الفكـــر العـــربى ، القـــاهرة ، ١٩٨٠م .

٦ ـــ الشافعى (د . حسن محمود) : المدخـــل إلى دراســـة علـــم الكـــلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثانيـــة ، ١٤١١هـــــ ـــ ١٩٩١م .

٧ ـــ صبحى (د . أحمد محمـــود) : فى علـــم الكـــلام (٢ ـــ الأشـــاعرة) ، دار النهضـــة العربيـــة ، بـــيروت ، الطبعـــة الخامســـة ، ١٤٠٥هـــــــ ـــ ١٩٨٥م.

٨ ـــ عبد المحسن (د . عبد الراضـــى محمـــد) : الإســـلام والمســـيحية مـــن الجدل إلى الحوار، بحث منشـــور بكتـــاب المؤتمـــر الـــدولى الأول للفلســـفة

الإسلامية (الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة ، والمنعقد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، ٢٠ ــ ٢٢ إبريل ١٩٩٦م . ص١٦١ : ١٨٢ .

٩ ــ عتلم (د . إبراهيم عبد الرحمن) : الجدل فى منطق القرآن ، بحث منشور ضمن حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية ، جامعة الأزهر ، العدد الحادى عشر ، ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م . ص٢٢١ : ٢٥٦ .

١٠ ــ عون (د . فيصل بدير) : علم الكلام ومدارسه ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م .

١١ ــ غرابة (د . حمودة) : الأشعرى (أبو الحسن) ، مكتبة الخانجى بمصر ، دون تاريخ .

١٢ ــ غلاب (عبد الكريم) : صراع المذهب والعقيدة فى القرآن ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م .

١٣ ــ الفاوى (د . عبد الفتاح أحمد) : مقال المنهج الجدلى عند المعتزلة ، ضمن كتاب المقالات العشر فى منهج علم الكلام وقضاياه ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م . ص٩ : ٨٣ .

١٤ ــ محمود (د . فوقية حسين) : مقدمة تحقيق كتابة الإبانة للأشعرى ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م .

١٥ ــ محمود (د . فوقية حسين) : مقدمة تحقيق كتاب الكافية فى الجدل للجوينى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م .

١٦ ــ مروة (حسين) : النزعات المادية فى الفلســـفة الإســـلامية ، جـــزآن ، دار الفارابى ، بيروت ، الطبعـــة السادســـة ، ١٩٨٨م .

١٧ ــ المغربى (د . على عبد الفتاح) : حقيقة الخـــــلاف بـــين المتكلمـــين ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعـــة الأولى ، ١٤١٥هـــــــ ــ ١٩٩٤م .

١٨ ــ موسى (د . جلال عبد الحميد) : نشـــأة الأشـــعرية وتطورهـــا ، دار الكتاب اللبنانى ــ بـــيروت ، ١٩٨٢م .

١٩ ــ النشار (د . على سامى) : نشـــأة الفكـــر الفلســـفى فى الإســـلام ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثامنـــــة ، ١٩٨١م .

٢٠ ــ نفيسى (د . سعيد) : مقال علـــــم الكـــلام فى الإســـلام موضوعـــه وسوابقه والكتب المصنفة فيه ، مجلة الفكر العربى ، معـــهد الإنمـــاء العـــربى ، بيروت ، العدد الحادى والأربعون ، السنة الســـــابعة ، مـــارس ١٩٨٦م .

٢١ ــ هراس (د . محمد خليـــــل) : دعـــوة التوحيـــد (أصولهـــا ــ الأدوار التى مرت بها ــ مشاهير دعاتها) ، دار الكتب العلميـــــة ، بـــيروت ، الطبعـــة الأولى ، ١٤٠٦هـــــــ ــ ١٩٨٦م .

(ب) : مراجع باللغة الأجنبيـــــة :

1 - Alain de Libéra : La Philisophie médiévale , Presses universitaires de France, Paris , 1993 .

2 - Allard (Michel) : Le problème des Attributs divins dans La doctrine d'Al-Ash'arî et de ses premiers Grands disciples, Beyronth, 1965 .

3 – Deschamps (Jacques) : Art. Jean de Damas Saint (Damascène) in : Dictionnaire des Philosophes, directeur de

la publication: Denis Huisman, éd. Presses universitaires de France, Paris, 1984, PP.1500,1501 .

4 – Ducellier (Alain) : Chrétiens d'Orient et Islam au moyen âge , VII^{e} S.-XV^{e} S., éd, Armand colin/Masson, Paris , 1996.

5 - Gimarel (Daniel) : La doctrine d'Al – Ash'arî, éd. Le Cerf, Paris, 1990 .

6 - Gimaret (Daniel) : Art. Un Document majeur pour l'histoire du Kalâm : Le Mugarrad maqalât Al-Ash'arî d'Ibn Fûrak, in Arabica, (Revue d'études arabes) , Tome XXXII^{e}, Fascicule 2, juillet, 1985, p. 187 : 218.

7 - Glasse (Cyril) : Dictionnaire Encyclopédique de l'Islam, éd . Boraas, Paris, 1991.

8 - –Vadet (Jeam Claude) : Le Primat de L'action sur L'Être et L'Essence fil Conducteur de La Logique d'Al-Ash'arî , in Stvdia Islamica , Tome XLIV^{e}, éd. G . P. Maisonneuve – Larose , Paris , sans date, p. 25 : 60 .

9 –Vajda (G) : Le Témoignag d'al-Maturidî sur La doctrine des Manichéens, des Daysanites et des Marcionites, in Arabica, Tome XIII^{e} , Fascicule I , éd . E.J. Brill , Editeurs , Leiden , Février , 1966 , P. 1 : 38 .

10 - Van Ess (Josef) : Une Lecture à rebours de L'histoire du mutazilisme , Revue des études islamiques , Extrait des tomes XLVI^{e}/2-1978,XVII^{e}/1-1979, éd. Librairie Orientaliste Paul Geuthner , Paris , 1984 .